الى القارئ

أكاديمية المملكة المغربية

بقلم : البشير بن سلامة

حضرت فى اواخر شهر افريل بالمغرب الاقصى الشقيق افتتاح أكاديمية المملكة المغربية وكانت فرصة لزيارة هذا البلد الحبيب الموحى بالعظمة والمشبع حضارة وتاريخا .

وصلت بالطائرة الى الدار البيضاء ليلا وكان من المفروض ألا أبقى بها وسرنا بالسيارة الى الرباط وشققنا هذه المدينة العصرية بانوارها واضوائها الكثيرة . فمنعني الليل من أن أتملى جمالها ولكنني كنت أستشف ذلك من وراء الظلال والأنوار الدافعة الى التهويم فى الخيال وتصور ما لا يمكن أن يلمحه البصر .

وامضيت الليلة فى نزل « برج حسان « الجميل الطافح بالذكريات التاريخية والمزخرف بالنقوش والفن المغربى الأصيل . وأخذنا فى الصباح السيارة وشققنا مدينة الرباط الجميلة التى جثم بينها نهر بورقراق وهو يمر فى سكينة فى هذه الفترة يحكى لنا قصة ما شاهده من أحداث جسام وخاصة مرور المحلات الشريفية فى أوائل هذا القرن فى اتجاهها الى فاس ومكناس ومراكش .

ولا بد أن واد « بورقراق » شاهد فى القرن السابع عشر ميلادى هجـرة الأندلسيين وأهل « هرناشو » يبنون آنذاك جمهوريتهم قرب مصب هذا النهر ويقيمون قلعتهم على غربيه . ولا شك أن هذا النهر ، سواء كان طافحا بالمياه يغلى غليانا أو هادئا منكفئا على نفسه ، قد رأى بعينه الخليفة يعقوب المنصور الموحدى فى ركبه الفخم ذاك الذى شيد أسوارا كثيرة وبنى بالخصوص مدينة ربـاط الفتـح وقلعتها ، وباب الرواح الباقى على وجه الدهر والسور العظيم والمبانى العسكرية الحارسة لواد بورقراق . وليس من تجاوز القول أن نجزم أن هذا النهر عاين أبا الحسن السلطان المرينى وهو يدخل مدينة الرباط ويأمر ببناء سورها المحيط بها فاضفى عليها بذلك عظمة على عظمتها .

ولما تجاوزت السيارة واد بورقراق فى اتجاه مكناس تراءى الطريق وهو يشق غابة مخضوضرة على اليمين واليسار تلتف أشجارها مرة وتخف مـرة أخرى ثم تتعرى تماما لتظهر المروج الزاهية والضيعات الممتدة الى الآفاق .

وتلتوى الطريق جاهدة ، على حسنها وهيئتها المتقنة ، فيبرز تارة الأفـق من وراء الأشجار وتارة أخرى ينغلق والأشجار تسير لتفسح المجال فى بعض الأحيان لحقول الكروم الزاهية . ثم فجأة نمر بمدينة تيصلت لنتخطاها بسرعة وندخل الى الطبيعة مرة أخرى وهى متلونة عظيمة لتجد نفسك فجأة بالخميسات ولا تلبث أن تعترضك الجبال من دون أن تسد عليك الأفق وتتمنى أن تتخطاها لترى ما وراءها من جمال للطبيعة فتان .

وفى هذه الطريق الملتوية يعترضك بائعو الحلـزون وهم واقفون على حافة الطريق يعرضون عليك أكياسا نيلونية مملوءة بهذا الكائن الهادىء الصابـر الذى لا يعرف تسرعا ولا يخرج من بيته المحمولة عبئا عليه الا عند وثـوقه من استتباب الأمن حوله . ولكن الطريق الحلزونية مملوءة بالنسبة اليه بمخاطر هؤلاء الباعة المصرين على الزج به فى متاهات مهلكة ارضـاء لشهـوات بنـى الانسان .

وفجاة نعوج نحو اليمين ونترك مكناس بعيدة عنا لنتجه بسرعة الى مدينة فاس العظيمة ونصل خطأ الى نـزل المرينى على المشارف المخضوضرة لمدينة الأدارسة الزاهرة ومن ذلك العلو الشاهق تراءت لنا مدينة فـاس القـديمة كاملة : فاس البـالى مدينة إدريس الثانى الذى لم يبن مدينة فقط بل أسس أول دولة عربية مسلمة فى المغرب الأقصى وفاس الجديد ومؤسسها أبو يوسف يعقوب المرينى سنة 1275 (القرن السابع الهجرى) .

وتظهر هذه المدينة وهى التى يفصل بينها واد فاس تاركا فى الجهة الغربية فاس الجديد وشاقا فاس البالى فى الوسط . ولكن النـاظر لا يـرى الا كتلـة ضخمة ترابية اللون مائلة شيئا ما الى الوردى الباهت ملتمة بعضها حول بعض توحى بالعظمة والقوة .

ونزلنا بعد ذلك الى المدينة العصرية قاصدين نزل فاس وتبينت لى المدينة ممتدة الأطراف زاخرة بالعمران طافحة بالنشاط ولكن روعة هذه المدينة تتجلى فى الجزء الذى يأوى المعالم القديمة المقامة على واد فاس الذى كان هو المـزود الأساسى بالماء حسب طريقة طريقة محكمة كانت فى القديم أساس العمـران ولكنها الآن تهدد جزءا كبيرا من المدينة مما حدا بمنظمة اليونسكـو والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة الى الاهتمام بالأمر .

وتاملت فى هذه المدينة ما وصل اليه الفن المغربى عبر القرون سـواء فى المدرسة البوعنانية أو جامعة القرويين أو ضريح مـولاى إدريس وغيرها من المعالم من مساجد ودور وأسواق. ولمست كيف كان «المعلمية» المغاربة يتعاملون مع الأرض والحجر والجبس والخشب والمعدن والمـاء والأضواء لابراز الزخارف والتشريفات والمشبكات والشماسيات والضافـر والمقرنصات والخطـوط فى السقوف والعرصات والتيجان والأعمدة : هى ثـروة فنية تنبىء عن حضارة عظيمة لشعب فنان أصيل .

فى هذه المدينة اختار الملك الحسن الثانى أن يفتتح أكاديمية المملكة المغربية وهى اول أكاديمية في المغرب العربى تبعث وحدد لها أهدافا سامية منها تشجيع تنمية البحث والاستقصاء فى أهم ميادين النشاط الفكرى من علم العقائد والأخلاق والقانون ومناهج الحكم والتاريخ والآداب والفنون الجميلة والرياضيات والعلوم التجريبية وغير التجريبية والتربية والطب والديبلوماسية وعلم الخطط الحربية والادارة والاقتصاد والصناعة والتعمير والتقنيات التطبيقية .

والطريف فى هذه الأكاديمية أنها لا تضم المغاربة والعرب فقط بل إنها تضم علماء ومفكرين من جنسيات مختلفة وبذلك يتحقق الاتصال بمن اسدوا للحضارة جليل الخدمات .

وللاكاديمية أيضا أن تحدث جوائز ومكافآت لتكريم أو تشريف المنتجات والأعمال والأشخاص المتوفرين بصفة خاصة على مميزات الجدارة والاستحقاق فى مجال الثقافة والحضارة . ولها أن تتعاون مع الهيئات المختصة على حسن استعمال اللغة العربية بالمغرب وعلى اتقان الترجمة من اللغة العربية واليها وإبداء الآراء السديدة فى هذا الموضوع .

وتسير هذه الأكاديمية حسب ظهير حدد الأهداف والهيئات الادارية للمؤسسة وعدد اعضائها وطريقة انتخابهم وسيرها وتنظيمها المالى .

وتضم الاكاديمية فى الأول ثمانية وثلاثين عضوا : عشرون مغربيا منهم : احمد الطيب بنهيمة وزير الخارجية السابق وأمين السر وكذلك عبد العزيز بن عبد الله مدير مكتب التعريب وعبد الكريم غلاب مدير جريدة العلم والكاتب المعروف واحمد الأخضر غزال مخترع لطريقة حديثة فى كتابة الحرف العربى .

اما غير المغاربة فيعدون ثمانى عشرة شخصية منهم : الدكتور هنرى كيسنفر وزير الخارجية السابق للولايات المتحدة الاميريكية وموريس دريون عضو الأكاديمية الفرنسية والدكتور الحبيب بلخوجة مفتى الديار التونسية

والدكتور احمــد عبد السـلام الحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء سنة 1979 وشيل امسترونف أول رائد فضاء وصل الى القمر وأستاذ جامعي، والدكتور ادقار فور عضو الأكاديمية الفرنسية والدكتور عبـد المنعـم القيسونى وزير الاقتصاد فى مصر سابقا والرئيس ليوبولد سيدار سنغور وغيرهم .

وافتتح الحســن الثـانى الأكـاديمية بخطاب أكـد فيـه خاصة على أن هذه الأكاديمية ستعين « على حث ركب الحضارة ونشر الطمانينة وبعث الأمـل » وأن « الأعضاء المتآزرين فى هذه المؤسسة أرباب الفكـر السـامى وأصحاب القلب الطافح بالخير سينيرون فى هذا الزمن المتبدل المتحول سبل ولوج العهد الجديد ويساعدون على حمل الأمانة الربانية الملقاة على عاتق الانسان » .

وهكذا أقدم المغرب الأقصى على هذه التجربة الكبيرة التى ستكون مثمـرة ما فى ذلك شك نظرا الى قيمة الرجال الذين تـم الاختيـار عليهم وللأهـداف النبيلة المحددة وللانطلاق المحمود الذى برز من أول الأمر .

البشير بن سلامة

في عيد الجامعة ..

شعر : نور الدين صمود

تَرْفُضُ الذّلّ كُلُّ نفس أَبِيَّهْ … فَهْيَ في العِزّ لا تَهَابُ المنيَّهْ
وَقُوَى الظّلمِ كُلّ يومٍ نَرَاهَا … تَتَحَدّى أمْجَادَنَا العَرَبِيَّهْ
تُرْهِبُ الأقْوِيَاءَ فِي كلّ أرْضٍ … بِسِلاَحِ القَبَائِلِ الهَمَجِيَّهْ
وَتُثِيرُ الأطْمَاعَ بالأصفرِ الرّنّانِ … فِي الأنفُسِ الضّعَافِ الغَوِيَّه
غَيرَ أنّ الأحْرَارَ أكبَرُ مِنْ أنْ … تَشْتَرِيهِمْ أوْرَاقُهَا النقْدِيَّهْ
وَنُفُوسُ الرّجَالِ أشْجَعُ مِنْ أن … تَرْهَبَ العَسْفَ او تَخافَ المنيَّهْ
قُوّة الظلمِ مَا الذي قَدْ دَهَاهَا … أتراها عَلَى الشّعُوبِ وَصِيَّهْ !؟
شَرّدَتْنَا وَاستَعبَدَتْنَا دُهُورا … فَغَدَوْنَا عَلى يَدَيهَا ضَحِيَّهْ
كَمْ أرَاقَتْ دِمَاءنَا وَاسْتَبَاحتْ … فِي حمانَا قَتلَ النّفُوسِ الأبيه
نَهَشَتنَا أطْمَاعُهَا كَذِئَابٍ … بجُيُوشٍ مُبتَزّةٍ وَحْشِيَّهْ
وَغَزَتنَا بِاسمِ الحِمَايَةِ قَرْنًا … فَفَقَدنَا مَعَانِيَ الوَطَنِيَّهْ
حَسَدَتْنَا المُستَعْمَرَاتُ وَلَكِنْ … بِئسَ شَعبٌ فِي أرْضِهِ المَحمِيه
« ذَلّ مَنْ يَغبِطُ الذليلَ بعَيْشٍ … رُبّ عَيشٍ أخَفّ منهُ المنيّهْ »

* * *

(*) قصيد أعد ليلقى فى احتفال جامعة الدول العربية بذكراها الخامسة والثلاثين الذى أقامته بمسرح مدينة تونس فى 22 / 4 / 1980 وهو من المجموعة الشعرية **التى** سيصدرها الشاعر قريبا .

ذَاكَ عَهْدٌ عَرَفْتُهُ فِي شَبَابِي	يَوْمَ كُنَّا لِلْغَاصِبِينَ رَعِيَّهْ
وَأَتَتْنَا البُشْرَى بِأَنَّ بَنِي العَمِّ	تَنَادَوْا لِوِحْدَةٍ عَرَبِيَّهْ
جَمَّعَتْ شَمْلَهُمْ لِتحدو خُطَاهُمْ	نَحوَ أَسْمَى غَايَاتِنَا المَذْهَبِيَّهْ
جمعتهم في الشرق فوق ضفاف النيل	لِلعربِ فِكْرَةٌ وَحْدَوِيَّهْ
وَجَعَلْنَا عِيدَ العُرُوبَةِ عُرْسًا	وَاحْتَفَلْنَا فِي أَرْضِنَا التونسيهْ
وَغَزَا العِيدُ عَالَمَ العُرْبِ حَتَّى	شَمَلَ العِيدُ كُلَّ أَرْضٍ قَصِيَّهْ
في شواطي المحيط في المغرب الأقصى	وَأَقْصَى حُدُودِنَا المَشْرِقِيَّهْ
وَكَتَبْنَا فِي المَجْدِ أَرْوَعَ شِعْرٍ	بِدِمَانَا عَلَى سِجِلِّ القَضِيَّهْ
وَكَتَبْنَا مَلَاحِمًا رَائِعَاتٍ	بِرَصَاصِ الرَّشَّاشِ وَالبُنْدُقِيَّهْ
تَتَحَدَّى الظَّلَامَ بِالنُّورِ ، تُلْقِي	فِي دُجَى اللَّيْلِ شُعْلَةً قُدُسِيَّهْ
وَسَرَتْ نَارُهَا إِلَى كُلِّ قُطْرٍ	بِلَظَاهَا تَكْوِي القُوَى الأَجْنَبِيَّهْ
كَهَشِيمٍ تَسْرِي بِهِ النَّارُ كَيْمَا	تَتَحَدَّى العَوَاصِفَ الثَّلْجِيَّهْ
زَعْزَعَتْ كُلَّ سَاكِنٍ وَأَفَاقَتْ	كُلَّ عَيْنٍ مِنْ نَوْمَةٍ أَبَدِيَّهْ
وَتَنَادَى الثُّوَّارُ فِي كُلِّ أَرْضٍ	لِيُزِيحُوا جَحَافِلَ العُنْصُرِيَّهْ
رَفَعُوا فِي الكِفَاحِ أَلْفَ شِعَارٍ	أَشْعَلَتْ فِي القُلُوبِ نَارَ الحَمِيَّهْ :
« أَيُّهَا الشَّعْبُ ثُرْ لِتحيَا عَزِيزًا	وَانحرِ الذُّلَّ وَافتدِ الحُرِّيَّهْ
مَا استحقَّ الحَيَاةَ من عَاشَ عَبدًا	كَمَرِيضٍ بِعُقْدَةٍ نَفْسِيَّهْ
فَإِذا لَم تَكُنْ جَدِيرًا بِعَيْشٍ	فَلْتُهَيِّئْ لِنَفْسِكَ المَرْثِيَّهْ »

* * *

صَرْخَةٌ بَدَّدَتْ ظَلَامَ اللَّيَالِي	وَأَبَادَتْ عِصَابَةَ الهَمَجِيَّة
فَشَهِدْنَا انْحِسَارَ مَدِّ غَشُومٍ	وَرَأَيْنَا انْجِلَاءَ لَيْلِ البَلِيَّهْ
صَارَ جَزْرًا ذَاكَ الذي كَانَ مَدًّا	وَاضْمَحَلَّتْ أَمْوَاجُهُ الغَرْبِيَّهْ
وَرَأَيْنَا انْبِلَاجَ أَلْفِ صَبَاحٍ	غَمَرَتْنَا أَنْوَارُهُنَّ النَّقِيَّهْ

فِي شواطِئِ المحيط في المغرب الأقصى   وَأقصى حُدُودنَا الشَرْقِيَّهْ
وَتَعالى فِي أُفُقنَا نُورُ فَجْرٍ   إثْرَ فَجر ، كَمَوجَةٍ ذَهَبِيَّهْ..
غَمرتْ بِالضِيَاءِ جَامعةَ العُرْبِ   فَشعتْ عَلى الوُجُوهِ قَوِيَّهْ
سَمقَتْ عِزّة ، وطَالتْ فَخَارا   فَهِيَ بِالعزّ وَالفَخَارِ حَرِيَّهْ
وَحّدتنَا مِنْ بَعدِ طُولِ شَتَاتٍ   مِثلَ جِسمٍ يَضمّ ألفَ خَلِيَّهْ
وَتَرَاءَتْ أمجَادُ يَعْرُبَ فِيهَا   بِجَلاَءٍ كَلَوحَةٍ زَيتِيَّهْ ...
نَمّقتهَا أحْلامُنا والأمَانِي   فَتَبَدّتْ جَمِيلة عَبْقَرِيَّهْ
لُغَةُ الضَّادِ وَالمَبادِئ وَالتَّارِيخُ   تُنمِي الرّوَابِطَ الدّمَوِيَّهْ
غَيرَ أنّا – وَالحزْنُ يَمْلأُ قَلبِي   وَبِهِ تُسحق النُّفُوسُ الأبِيَّهْ –
مَا اتّفقْنَا إلاّ عَلى الخلْفِ فَانظرْ   هَلْ يَحل الخلافُ أيّ قضيه ؟!
ثُلْثُ قَرنٍ نَدعُو لِوحدَة صَفّ   وَلِقَهرِ العِصَابَةِ « الخَيبرِيَّهْ »
فَقهَرنَا كلّ الأعَادِي ، وَلَكِنْ   قَهَرَتنَا أطْمَاعُنَا الشَّخْصِيَّهْ

* * *

يَا فِلِسطِينُ سَامِحِينَا فَإنّا   شَغَلتْنَا المَشَاكِلُ الهَامِشِيَّهْ
وَتَرَكْنَا القُدْسَ السّلِيبَ ذَلِيلا   وَرَكِبنَا لِلجُبْنِ ألفَ مَطِيَّهْ
وَظَللنَا نُخَدّرُ الشّعبَ دَهْرا   بِوعُودٍ مِثلَ السَّرابِ سَخِيَّهْ
وَاقتنَينَا السِّلاحَ ، لاَ لِدِفَاعٍ   بَلْ لِتَّمزِيقِ عُرْوَةٍ أخَوِيَّهْ
وَنَثرنَا أموَالَنا فَوقَ صَدْرٍ   ذِي اهتِزَازٍ لِغَادَةٍ أجْنبِيَّهْ
وأبَحنَا بِالنَّفطِ كُلّ حَرَامٍ   وَتَرَكْنَا الشّيطَانَ يَنشرُ غَيَّهْ
وَمَلأنَا أبْوَاقَنَا بِسِبَابٍ   وَانحَدَرنَا فِي بُؤْرةِ الجَدَلِيَّهْ
وَمَدَحْنَا بالشّعرِ كلّ عَمِيلٍ   وَاحترَفنَا الدّعَارَةَ الفِكْرِيَّهْ
وَجَعَلنَا مِنَ الذّيُولِ رُؤُوسا   وَنَعَتنَا الأقزَامَ بِالعَبقَرِيَّهْ
وأهنّا ذَوِي المَوَاهِبِ ، حتّى   هَجَرَتْنَا المَواهِبُ العَقلِيَّهْ

وَحَرَمْنَا مَنْ يَفْتَدُون حِمَاهُمْ   وَبَذَلْنَا لِمَنْ يَخُونُ الْقَضِيَّهْ

....

وَزَرَعْنَا الأعداء في كلِّ شِبْرٍ   وَادَّعَيْنَا الإِبَاءَ وَالثَّوْرِيَّـــهْ
وَاقْتَدَينَا بِالغربِ في كلِّ شَيءٍ   وَجَهِلْنَا عُلُومَهُ وَرُقِيَّـــهْ
وَنَصَبْنَا «للضَّاد» أَلْفَ كَمِينٍ   وَهَجَرْنَا حُرُوفَنَا الأَبْجَدِيَّـهْ
وَقَطَعْنَا لِسَانَنَا مِنْ لَهَـانَـا   وَسَجَدْنَا لِلأَلْسُنِ الأَجْنَبِيَّهْ !
فَحُرُوفُ القُرآنِ تُوشِكُ تَقضي   وَحُرُوفُ التَوراةِ تُصبحُ حَيَّهْ !
إنَّ عِزَّ اللغاتِ عِزُّ ذَوِيـهَـا   فَبِمَ تُصبحُ اللُّغَاتُ قَوِيَّـــهْ
قَدْ طَمَسنَا نُجُومَنَا في سَمَاءٍ   كَمْ هَدَتنَا أَقمارُهَا الدُّرِّيَّهْ !
يَا سَمَاءً تُظَلِّلُ النِّيلَ إِنَّـــا   قَدْ عَهِدْنَاكِ كَالصَّفَاءِ نَقِيَّهْ
كُلَّمَا أَطلَعَتْ سَمَاؤُكِ بَدْرًا   يَغْبِطُ الصُّبحَ فيكِ لَونَ العَشِيَّهْ
كُلُّ نَجمٍ يلوحُ فيكِ لِعَيني   كَانَ أَحلى من عَينِ أَلفِ صَبِيَّهْ
غَيرَ نَجمٍ مُسَدَّسٍ منه صَارتْ   أُمَّةُ العربِ مِثلَ ثَكلى شَجِيَّهْ
كَاد منهُ يُحوِّلُ النِّيلُ مَجراهُ   وَيَقضِي بِسَكتَةٍ قَلبِيَّـــهْ
كَاد أنْ يَجرفَ الذينَ أَهَانُوا   مَجدهُ ... كِبرِياءُهُ السَّرْمَدِيَّهْ
أَهوَ نَجمٌ مُسدَّسٌ ؟ أَمْ تَـرَاهُ   في فؤادي مُسدَّسٌ وشَظِيَّهْ !؟
فَإِذا لَمْ يَكُنْ أَسَالَ دُمُوعـا   فَدُمُوعُ الرِّجَالِ دَوما عَصِيَّهْ
لَمْ يُسِلْ أَدمُعًا وَلَكِنْ دِمَاءً   بَذَلَتْهَا كُلُّ النُّفُوسِ الوَفِيَّهْ

* * *

مِصْرُ يَا مِصْرُ أنتِ أَمْ رَؤُومٌ   بِدروسِ الأَمْجادِ كُنتِ سَخِيَّهْ
كَيفَ أَنكرتِ كلَّ مَاضٍ مَجيد   وَخَنَقتِ المبَادِئَ القَوْمِيَّهْ ؟!
كَيفَ أَغضَبتِ أَلفَ أَلفِ صديق   وَتَرَضَّيتِ جَوقَةَ الهَمَجِيَّهْ ؟!
كَيفَ عَاشرتِ حَيَّةً ذَاتَ سم ؟   فَاقِدُ العَقلِ من يُعاشِرُ حَيَّهْ !

كيفَ صافحتِ طُغمة قذفتهُمْ   كغثاء كلّ الأراضي القصيّةْ ؟!
إيهِ يا مصرُ قدْ جرحتِ شعُورا   عربيًا ونخوة عربيّهْ
كنت «ست الأحباب» في كل قلب   فلماذا هجرتنا يا «بهيّة» ؟!
ولماذا خذلتِنا بعدَ نصْرٍ   وأضعت الإباءَ والعنجهيّهْ ؟!
فسرى الهولُ في فؤاد أبي الهول   ودوّى بزأرة أسديّهْ
أيقظتْ جوهرَ الصقلي وعمْرا   وصلاحا ، وألفَ ألفَ ضحيّةْ
لم تزلْ في القنال في بورسعيد   فوقَ سينا دماؤهنّ الزكيّهْ
ذلّ يومٌ أهنت فيه الضحايا   وتنكّرت للعلى والحميّهْ
فهوَ عيدٌ في قلبِ تل أبيبٍ   وهوَ في مصرَ مأتمٌ ورزيّهْ

....

* * *

يا نُسورَ العبورِ كيفَ فتحتُمْ   في حماكُمْ ، سفارة عبريّةْ ؟!

....

فاستعزّي يا أمّةَ العرب إنّا   قدْ بدأنا مسيرة جديّهْ
وابتدأنا طورا جديدا محوْنا   فيه كلّ المواقف العنتريّهْ
واهتدينا بالعقل في كلّ شيءٍ   ونبذنا آراءنا العاطفيّهْ
ووضعنا السيوف في متحف الماضي   ...نبذنا الحماسةَ البحتريّهْ
وفضحنا خصومنا بحجاجٍ   فبدتْ عورةُ الخصوم جليّهْ
فدواءُ الصعاب رأي سديد   لا تُداوى بالغضبة المضريّهْ
وكلامُ العقول يُبدي حقوقا   لا تعيها الرماحُ والمشرفيّهْ
زالَ عهدُ الخصيان عهدُ السبايا   والألى ضلّلوا الجمُوع الغبيّهْ
ورفضنا عهد الوصاية رفضا   وفرضنا الإرادةَ الشعبيّهْ

وَأَرَدْنَا لِلعُرب وَحْدَةَ صَفَّ ... فيهِ تَبدو مَسيرةٌ وَحْدَوِيَّهْ

قُوّةٌ نحنُ مِنْ قَدِيمٍ ، وَلَكِنْ ... أَعْوَزَتْهَا قِيادَةٌ عَبْقَرِيَّهْ

لَوْ وَضعنَا في موضعِ الرّأسِ رأسا ... عَبقَرِيا يَحلّ كُلّ قَضيِّهْ ...

لاجْتنبنَا العِثارَ في كلّ دَرْبٍ ... وَمَشينَا عَلى الدّرُوبِ السَّويَّهْ

فَكِبَارُ الأُمُورِ تَبغِي عُقُولاً ... لا ذُيُولا تَسيرُ بِالتّبَعِيَّهْ

سَنُعِيدُ الأهْرامَ في قَلبِ مِصر ... وَفِلسطينُ لنْ تَظلّ سَبِيَّهْ

فَهِي من عَالمِ العُروبَةِ جُزْءٌ ... وسَتبقَى على المَدى عَرَبِيَّهْ

نور الدين صمود

● **السفر .. فى الاتجاه المعاكس :**

هذا عنوان المجموعة الشعرية التى وصلتنا نسخة منها هدية من الشاعر الصديق اسماعيل عامود التى طبعت بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب فى القطر العربى السورى على مطابع (الفردوس) فى دمشق وقد صدرت للشاعر كتب عديدة : من أغانى الرحيل ـ كآبة ـ التسكع والمطر ـ أغنيات للأرصفة البالية ـ أشعار من أجل الصيف ـ الكتابة فى دفتر دمشق . وأخيرا : السفر فى الاتجاه المعاكس هذا الذى يحتوى على 18 عنوانا و 84 ص من القطع المتوسط . نشكر الصديق اسماعيل عامود على هديته ونرجو له التوفيق فى العطاء المتميز بالاضافة الجادة الى ديوان الشعر العربى مع التواصل والتطلع .

لا للفكر الفوضوي الانهزامي ..!

بقلم : محمد مزالي

فى حديث شامل وطويل تحدث السيد محمد مزالى وزير التربية القومية والوزير الاول التونسى عن الوضع الراهن فى تونس وعن حركة التعريب التعريب ومجمل الاوضاع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية فى تونس وعن سياسة تونس الداخلية والخارجية .

وفى ما يلى النص الكامل للحديث :

• الزائر لتونس كما هو الشأن لزائر أى بلد من بلدان المغرب العربى لا بد أن يتساءل عن حركة التعريب فيها فماذا حققتم بهذا الشأن هنا فى تونس ؟

ــ أرجو أن لا يكون مصدر هذا التساؤل هو الشك الواعى أو اللاشعورى فى عراقة انتسابنا الى الحضارة العربية الاسلامية . فالكثير من اخواننا فى الشرق العربى لا يعرفون مدى اسهام تونس فى دعم هذه الحضارة فى هذه المنطقة سواء خلال عصور ازدهار الاسلام الاولى أو خلال ما اصطلح عليه بعصر النهضة فى فجر القرن الماضى . ولقد وقفت تونس طوال مدة الاستعمار ، وخاصة منذ أن تولى الرئيس الحبيب بورقيبة المسك بزمام الكفاح التحريرى ، وقفت وقفة صامدة فى وجه الفرنسة وكل أنواع المسخ ، فحافظت على عروبتها لغة واحساسا .

لذلك فان ما نصطلح عليه بكلمة « تعريب » ليس الا عملا تربويا بالمعنى التعليمى وبالمعنى التكوينى .

كانت ديمقراطية التعليم مطلبا رئيسيا من مطالب الجماهير التونسية المناضلة من أجل استرجاع الاستقلال والسيادة باعتبار ان التعليم حق حرمت منه أغلبية الشعب التونسى وباعتباره أداة تغيير للواقع وخير ضمان لمناعة الوطن . لذلك بادرت تونس المستقلة بفتح المدارس فى كل الانحاء . ونظرا الى

(*) صدر هذا الحديث فى جريدة « الأنوار » 22 نيسان 1980 .

افتقارنا حينذاك الى الاطار الكفء القادر على تدريس المواد العلمية بالعربية مع ضمان نوعية التعليم وتقدمية محتواه فضلنا الابقاء على تدريس تلك المواد باللغة الفرنسية بصفة وقتية حفاظا على المستوى العلمي . وحالما تمكنا من الاكتفاء الذاتي من حيث اطارات التعليم ومن حيث اعداد الكتب المدرسية المناسبة ، شرعنا فى عملية التعريب .

ففى المدرسة الابتدائية ، عربنا السنوات : الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة وسيتم تعريب السنة السادسة فى مفتتح السنة القادمة أى فى ايلول 1980 مع ابقاء تعليم الفرنسية كلغة أجنبية حية فى السنوات الرابعة والخامسة والسادسة .

اما فى التعليم الثانوى فاننا انتهينا من تعريب كل العلوم الانسانية من فلسفة وتاريخ وجغرافيا . ويتواصل فى الوقت الحاضر تدريس العلوم الصحيحة بالفرنسية لاسباب عملية . الا ان التعريب فى مدارس اعداد المعلمين ، وهذا أمر هام ، قد شمل كافة مواد التعليم .

وفى التعليم العالى وقع الشروع فى تعريب عدد من مواد العلوم الانسانية والحقوق . كما أننا جعلنا العربية مادة اجبارية فى شعب اللغات الحية بحيث ان الطالب المتخصص فى دراسة الفرنسية أو الانكليزية أو الالمانية أو غيرها يتلقى دروسا فى العربية سنى الدراسة ، وذلك حتى لا تستأثر لغة أو حضارة أجنبية ما بذهن الطالب وحتى لا تنقطع صلة أى طالب باللغة الأم .

• هذا يجرنا بالضرورة الى سؤالكم عن واقع حركة التعليم العربى بتونس . ثم ما هى الاسس التى تقوم عليها المنظومة التربوية التعليمية فى تونس والى أى مدى ترتبط المناهج التعليمية بالواقع اليومى المعاش للطلبة والدارسين ؟

ــ من حيث الكم قد يكون من المفيد لتقييم الاشواط التى قطعناها ان نعطى للمقارنة بعض الارقام : كان عدد التلاميذ فى الابتدائى سنة 1955 ــ 1956 أى غداة حصول تونس على الاستقلال 209.400 وفى الثانوى 31.000 . اما اليوم فقد بلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية 1.024.537 وفى الثانوى 238.317 وبذلك يكون خمس سكان الجمهورية التونسية فى المدارس . وقد قاربنا الآن استيعاب كل الاطفال الذين بلغوا سن السادسة اذ وصلنا الى نسبة 85 بالمائة تقريبا وسنصل الى الاستيعاب الكامل عندما نتغلب على التشتت السكنى فى

الارياف الذى يعتبر أكبر عائق يحول دون ذهاب بعض الاطفال وخاصة الاناث ، الى المدارس ، وفى هذا الصدد نوجه حاليا عناية خاصة بالمدارس الريفية التى ما زال عدد منها يحتاج الى الكهرباء والطرقات المعبدة الموصلة اليها .

ولقد حرصنا على ارساء التعليم على قاعدتين اثنتين أولاهما تربوية صرف تعنى ببعث أجيال واعية متمسكة باصالتها وبالذاتية الثقافية ومتفتحة على العصر . وبهذه المعانى شحنت دروس التربية المدنية والدينية وكذلك دروس التاريخ والجغرافيا والفلسفة ونصوص القراءة ، لما فى هذه المواد من اثر مباشر فى تنشئة الذهن والاحساس وجعل التلميذ عنصر خير وبناء فى المجتمع .

اما القاعدة الثانية فهى تكوينية تؤهل التلميذ لدخول معترك الحياة مزودا بالاختصاصات الاساسية التى تضمن له الشغل ، وذلك بما اقمناه من صلات بين المدرسة والمحيط الاقتصادى والاجتماعى ، ففى التعليم الثانوى دعمنا وطورنا شعب الاختصاصات المهنية والتقنية التى نتعهدها دائما بالمراجعة ونتداركها بالاصلاح حتى تكون دائما متماشية مع مقتضيات التطور الاجتماعى ومتطلبات سوق الشغل . وضبطنا لذلك نظام توجيه يتولى كل معهد بمقتضاه توجيه التلاميذ الى الشعب المختلفة وفق مؤهلات التلميذ وامكاناته .

غير أن التعليم الثانوى لا يستوعب كل التلاميذ المتخرجين من المدارس الابتدائية ، فأعدنا النظر فى غائية التعليم الابتدائى وادخلنا عليه تجديدات جعلته يتجاوز ما كان عليه فى الماضى أى كونه مجرد جسر يعبره التلاميذ الى المعهد الثانوى فمن فاز ظفر ومن سقط خاب . وحرصا على تجنب خلق أجيال تعيش على هامش المجتمع منبتة عن محيطها لا قدرة لها على الاندماج الاجتماعى بل قد تصبح أداة شغب وعنصر تخلف ـ وهذا واقع تشترك فيه كافة اقطار العالم الثالث ـ اقبلنا على تجربة طريفة اقحمنا فيها المربين ومديرى المدارس، وتمثلت هذه التجربة :

أولا : فى بعث تدريب على العمل اليدوى يبتدىء من السنتين الخامسة والسادسة من التعليم الابتدائى فى شكل تربية يدوية عامة ، غايتنا من ذلك تبصير التلميذ بنبل العمل وتهيئته لمتطلبات مجتمع متطور اقتصاديا واجتماعيا .

ثانيا : فى بعث سنتين اضافيتين سابعة وثامنة يتواصل فيها التدريب على العمل اليدوى فى شكل تكوين عملى مختص يحسس للمهن ويعد لاقتحام الحياة العملية . وقد لاحظنا بفضل ذلك تغييرا جذريا فى عقلية الاطفال وسلوكهم حيث اننا شاهدنا تلاميذ لمدارس ابتدائية يتكلفون بمدارسهم ويقومون باعمال عدة لتطويرها من ذلك اعمال التسييج والتزيين والاعتناء بالحديقة المدرسية . كما شاهدنا مدارس تساهم فى احياء اراض مهملة او فى ادخال زراعات جديدة بالمنطقة . وهناك مدارس اخرى ادخلت تقنيات حديثة مثل تربية النحل بالطرق العصرية واستعمال البيوت المكيفة ، كما تعلم التلاميذ بعض الحرف وساهموا فى انتاج شباك الصيد والزربية وغير ذلك من الصناعات التقليدية والميكانيكية .

وقد أدرك الجميع ضرورة التعاون البناء بين المربين والسلطات الادارية بكل المناطق لانجاز مشاريع التكوين بتعاون مع اصحاب المؤسسات والحرفيين الذين قبلوا المساهمة فى تكوين الشبان فى مؤسساتهم .

وهكذا اعطينا كلمة التفتح على المحيط مدلولا عمليا ايجابيا واصبح التعليم الابتدائى تعليما أساسيا بحق يعد للحياة ويؤهل للانتاج .

ونستطيع ان نقول : إن المشاكل التربوية التى تعترضنا هى نفس المشاكل التى تعترض التربية فى العالم بما فى ذلك الدول المتقدمة وتتجسم هذه المشاكل بالخصوص فى صعوبة ملاءمة مناهج التعليم ومحتوى البرامج مع مقتضيات واقع يتطور باستمرار وبسرعة . ونحن نعمل قدر الامكان على ادخال حركية دائمة على تعليمنا واعطائه مرونة تجعله قابلا للتطوير والتدارك .

• لا شك ان هذا التطور التعليمى انعكس على صعيد الثقافة اجمالا والادب على الاخص فما هى وضعية الحركة الثقافية فى تونس بالضبط؟

– من الطبيعى ان تشتد الحاجة الى المادة الثقافية كلما انتشر التعليم ، فالمدرسة هى الباعثة الاولى للحاجة الى الثقافة . وتضطلع وزارة الاعلام والشؤون الثقافية بسد هذه الحاجة وقد شجعت ظهور الفرق المسرحية والموسيقية الهاوية بمختلف انحاء الجمهورية كما بثت شبكة واسعة من دور الشعب والثقافة تقدم فيها المحاضرات والعروض المتنوعة والمعارض الفنية ، وهكذا تفضى ديمقراطية التعليم الى ديمقراطية الثقافة . وفى خصوص الادب

نلاحظ ان حركة الادباء الشبان نشيطة جدا وهى تتبلور فى انتاج مكثف يضم تجارب تعنى بالشكل قصد تجديد طرق التعبير واستقصاء امكانات اللغة ، وفى مستوى المضمون تغلب على هذا الانتاج الشاب اهتمامات اجتماعية وفكرية ويبدو ان الشعر والقصة هما الميدانان المفضلان لدى الادباء الشبان.

• تطور الحركة الثقافية لا شك يحتاج الى اعلام فكرى متخصص فهل لديكم هذا الاعلام وكيف يتعامل الاعلام مع الحركة ومع المواهب الشابة؟

ـ ان وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية تهتم بالتأكيد بالانتاج الادبى . ولكن الادباء والكتاب يعتقدون ان هذا الاهتمام غير كاف . وواضح ان الصحافة والاذاعة والتلفزة مطالبة بتخصيص مساحات أكبر للانباء والتحاليل الادبية ، ومطالبة كذلك بتوفير تغطية اوسع للنشاط الفكرى . ولكنى أرى انه يتعين على الادباء انفسهم بذل مزيد من الجهد للتعريف المتبادل بانتاجهم ، اذ كثيرا ما ألاحظ ان حركة النقد عندنا غير مواكبة بما فيه الكفاية لحركة الانتاج ، ونؤمل تدارك هذه الانقاص فى مستقبل قريب ، فالى جانب ظهور العديد من المواهب الادبية الجديدة ظهر الكثير من الصحفيين الشبان من ذوى الاختصاصات السياسية والاقتصادية والثقافية .

● دور كتاب تونس :

• بصفتكم رئيس اتحاد الكتاب بتونس هل تعتقدون ان الكاتب التونسى يلعب دوره الفكرى كاملا وان الظروف تسمح له بذلك ؟

ـ كان دور الكاتب التونسى والاديب والشاعر واضحا قبل الاستقلال . لقد كان ينافح من أجل الذود عن الكيان ومكافحة الاستعمار الذى كان يهدف الى مسخ الذات التونسية العربية الاسلامية وانكار الحضارة القومية واحلال حضارة الغالب مكانها.كان دور الكاتب التونسى واضحا وكان يناله من عنت الظروف وعناء الحياة وعجرفة الاستعمار ما ينال كل المواطنين التونسيين .

ولما استقلت تونس منذ 24 سنة اتجه التونسيون بكليتهم الى تدعيم الاستقلال وبناء تونس الجديدة على أسس عصرية اصيلة والخروج من التخلف بمكافحة الفقر والجهل والمرض وتطهير النفسيات مما ران عليها من تواكل واستسلام وانانية فأخذ الكاتب التونسى على عاتقه ان يسهم فى هذه المعركة

وان يجند طاقاته الفكرية من اجل ذلك فقال بالالتزام الصحيح الصاحي الذى يعنى المسؤولية والرشد الفكرى واعتبر الادب والفكر ملحمة فى خوضها اثبات الوجود وارادة الحياة .

فى هذه الظروف التى تقتضى الوعى الكامل بما يتحمله الكيان التونسى من ضغوط لم يتأخر الكاتب عن القيام بدوره الفكرى الرائد فصدع بآرائه سواء فى قصصه واشعاره ومسرحه أو فى مقالاته وبحوثه ودراساته .

صحيح ان الكاتب بمعناه الواسع لم يعد وحده فى مجال الابلاغ وفى الساحة الثقافية مثلما كان فى السابق اذ نزلت الوسائل السمعية البصرية بكلكلها وتعددت فنون الثقافة ووسائل التعبير المختلفة وتعقدت الحياة الاقتصادية والاجتماعية مما جعل صوت الكاتب لا يسمع وحده بل من بين جملة أصوات ربما هى أقوى منه تقنيا وأيسر بلوغا الى الناس وأشد وقعا فى اذهانهم وتأثيرا على خيالهم .

هذه هى أهم الظروف التى حدت شيئا ما من دور الكاتب وجعلته يحاول بشتى الطرق ان يتخطاها ويسمع صوته عاليا ويقوم بدوره الفكرى على أحسن وجه .

وانى اعتقد انه ما من كاتب أو خلاق فى أى فن من الفنون بقادر على أن يسكت وان لا يصدع برأيه مهما كلفه ذلك ومهما كانت الظروف . الكلمة كالبذرة الصالحة التى تلقى فى الارض الصالحة فهى الى الانبات والينـاع والاخضرار وقطف الثمار . نعم هى تحتاج الى الرعاية والظروف الملائمة وهى تقتضى أيضا المعاناة والكفاح وتذليل الصعاب .

• اذا سمحتم هنا اعطاءنا صورة عن اتحاد الكتاب ودوره فى تونس ؟

ـ ان ما أنشىء من أجله اتحاد للكتاب التونسيين منذ 1971 هو ايجاد الظروف الملائمة ليقوم الكاتب التونسى بدوره كما يراه هو . ولهذا فان الاتحاد يضم أغلب الكتاب فى تونس لا الادباء فقط ويحتضن جل الاتجاهات الفكرية والادبية . هناك أرضية للعمل قوامها خدمة التفاهم البشرى والاحترام المتبادل بين الشعوب والذود عن حرية الفكر ومساندة جميع القضايا العادلة فى العالم وتأييد الكتاب المدافعين عنها أو المضطهدين من أجلها والدعوة الى الأخوة الانسانية واقرار السلم فى العالم ومناهضة الاستعمار والتمييز العنصرى وكل اعمال التعسف والعنف والقهر والاستغلال .

والاتحاد أنشىء أيضا لرعاية أعضائه والمنتسبين اليه بالتعريف بانتاجهم داخل الجمهورية وخارجها والسعي الى نشره وترويجه وتشجيع الكتاب وخاصة الشبان منهم على ابراز طاقاتهم في الابداع والاخذ بيدهم .

ويعمل الاتحاد كذلك على مساعدة أعضائه العاملين في انجاز اعمالهم ومشاريعهم الادبية والفكرية داخل الجمهورية وخارجها والمشاركة في المؤتمرات والندوات المحلية والدولية وتنظيم الملتقيات المختلفة والعمل على دعم الانتاج التونسي بصفة عامة والتعريف به والسعي الى تسهيل وسائل نشره وترجمته وتوزيعه ومساندة الكتاب التونسيين على الاضطلاع في أحسن الظروف بدورهم الطبيعي في مجتمع يتطور ويهدف الاتحاد أيضا الى ربط علاقات صداقة وتعاون مع الجمعيات الثقافية المماثلة في سائر الاقطار والاطلاع المستمر على التيارات الفكرية بكل الطرق الممكنة .

والاتحاد لا يتوانى في التضامن خاصة مع أعضائه اذا تعرض الكاتب من أجل آثاره الى المضايقات بأنواعها وإذا تعرض الاثر الادبي أو الكفرى الى الرقابة أو الحجز أو الحيلولة بينه وبين الجمهور وذلك حرصا من الاتحاد على تمكين الاثر من التعبير عن ذات صاحبه بالوسيلة التي يختارها وكذلك لا يتردد الاتحاد مد يد المساعدة في نطاق امكانياته للكاتب أو عائلته اذا تعرض الكاتب من أجل آثاره الى الاعتقال أو المحاكمة أو السجن أو الحرمان من حق من حقوقه المدنية الشرعية .

هذه هي الارضية التي اجتمع حولها الكتاب التونسيون في اتحادهم هذا وتلك طموحاتهم وهي طموحات مشروعة تقتضي ان يكرس الاعضاء جهودهم لتجسيمها والكفاح من أجل تحقيقها بايجاد الامكانيات والوسائل وتجنيد الطاقات .

ولا يخفى ان اعضاء الاتحاد في تونس لا «يرتزقون» مما يكتبون فهم يسرقون أوقاتهم للكتابة ولا يتفرغون لها ولا للعمل بالاتحاد فهم هواة بأتم معنى الكلمة وهم أحرار حقا وليسوا موظفين أو موالين أو مرتزقة بالقلم .

والعمل مكرس لارساء قواعد العمل الثابتة وتأمين مسيرة الاتحاد حتى لا يتردى في المتاهات التي لا تخدم الكاتب ولا الكتابة في تونس ولا في العالم العربي .

ولهذا فان عملنا جماعي والهيئة المديرة للاتحاد تنتخب بصفة ديمقراطية

وتؤخذ القرارات بالاغلبية وتضبط برامج العمل فى الجلسات العامة وتطبقها لجان متكونة من الاعضاء .

وقد انعقدت أخيرا جلسة عامة ضبط اثناءها برنامج لمدة عامين يحتوى على ما يجب ان نقوم به من محاضرات وندوات ولقاءات مثل ندوة حـول قضايـا الكتاب فى تونس وندوة حول منزلة الكاتب فى البـلاد العـربية ودوره فى المجتمع وملتقى للنقد وندوة حول الشعر التونسى وترجمة الكتاب الثقـافى وهذا البرنامج يضم أيضا نشـر مختـارات من الادب التـونسى فى القصـة والشعر والدراسة .

اننا نولى كذلك اهتماما كبيرا لعلاقاتنا مع الاتحادات الشقيقة والصديقة اذ امضينا اتفاقيات مع عدد كبير من الاتحادات شرقا وغربا ممـا من شـأنه ان يمكن الاعضاء من الاطلاع على تجارب الآخرين والتعريف بالانتـاج التـونسى واستقبال الكتاب الضيوف .

رأيتم ان ما يطمح الى تحقيقه الاتحاد عظيم بالنسبـة الى امكانيـاته وعـدد اعضائه وعدم تفرغهم الى هذا العمل . وانه لا يمكن ان يعوضهم أحد فى هذا ولا يجدر بهم ان يتواكلوا على أى كان رغم ان السبيل شائكة .

● **ازمـة النشـر :**

• معظم ادبـاء المغـرب العـربى يعانون ازمة النشر وقلة الرعـاية وحتى الاتحادات بحكم ظروف كل بلد لا تجد الدعم الكـامل وهـل الوضع هنا مغاير لذلك ؟

ـ قبل الاستقلال كان النشر يكاد يكون معدوما وكان الاديب يقضى عمره كله وهو ينتج نثرا وشعرا فى المجلات والجرائد ثم يتوارى ولا يصدر له ولـو كتاب واحد ، تذكر مثلا أبـا القـاسم الشـابى الذى لم يظهر ديوانه الا فى الخمسينات رغم ما بذله من مجهودات ومحمود المسعدى الذى لم ينشر له كتاب السد الا مع الاستقلال وغيرهما كثير .

ثم أسست دور النشر الحكومية والخاصة وصدرت الكتب لاغلب الكتاب غير أن صعوبات كثيرة ظهرت واصطدمت بها دور النشر ولم تتمكن من مواجهة الانتاج الغزير الذى عرفته الساحة الادبيـة فى السنـوات الاخيـرة . هـذه الصعوبات المتمثلة فى مشاكل الطباعة والورق والتوزيع والتسويق لم تقدر

هذه الدور على تخطيها . لان الامر لا يتعلق بتونس وحدها بل بالاقطار العربية الاخرى فالكتاب العربي يعانى مشاكل كبيرة امكن للاخوان فى المشرق القضاء على بعضها نظرا الى ما احرزوه من سابقية فى هذا الميدان بينما لم يتوصل القائمون على النشر فى المغرب العربي الذى كان الاستعمار ضاربا الحواجز الاقتصادية بين اجزائه كما كان ضاربا الحواجز الاقتصادية بين المغرب العربي والمشرق العربي لم يتوصلوا الى ازاحة العوائق ويجب الا ننسى ان الكتاب وهو الحامل للقيم الفكرية والادبية بضاعة تخضع لقوانين السوق بل هى بضاعة أصعب ترويجا لانها ما زالت تعد فى كثير من البلدان العربية كمالية ولا توضع بمثابة الخبز اليومى مثلما نراه فى البلدان المتقدمة .

ولهذا فان الدعم الموجود يظهر انه لا يتماشى مع طاقة الانتاج ولا مع الطموحات التى ذكرنا ولا التصور الذى نعطيه لعملنا الفكرى والادبى وهذا يقتضى مراجعة الاساليب التى دأبت عليها دور النشر وتصويب خططها التنموى .

• هل يعنى هذا انكم لا تعانون من ازمة نشر وطباعة واذا كانت الازمة كذلك فهل يمكن اعطاؤنا صورة عن دور النشر والطباعة هنا ؟

– ولهذا لا يصح أن نقول ان هناك ازمة نشر وطباعة إذ الازمة تعنى ان النشر والطباعة كانا مزدهرين فتقاصا بينما كانا يكادان يكونان معدومين . ان الشأن يدعو الى الاعتراف بوجود بطء فى النمو وتباطؤ فى حل مشاكل الكتاب .

ان لنا ثلاث دور حكومية لها امكانيات النشر : الدار التونسية للنشر والشركة التونسية للتوزيع والدار العربية للكتاب (تونسية ليبية) ودور أخرى خاصة نشيطة مثل مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع ومؤسسات بوسلامة ودار النجاح وغيرها . ويظهر ان معدل العناوين التى تنشر فى تونس تناهز 150 عنوانا ويبلغ عدد النسخ ما يقارب 800 ألف نسخة بما فيها كتب الاطفال .

وبطبيعة الحال فان دور النشر لها مقاييسها التى توفر لها الربح وتهتم بالكتاب المضمون الرواج . ولا تقبل كثيرا على طبع الدواوين الشعرية والانتاج

الادبى الصعب الرواج رغم ان وزارة الشؤون الثقافية تشجع بشـراء نسبـة تتراوح بين 10 و 20 بالمائة من عدد النسخ المطبوعة لكل كتاب .

ورغم هذا النمو البطىء والتشجيع النسبى فان قضايا أساسية باتت تنتظر الحل وتجعل كل المعنيين بهذا القطاع يشعرون بعدم تلبية رغبتهم ناهيك ان عددا كبيرا من الادباء أصبح اليوم يقتحم بنفسه ميدان الطبع ويكتفى بترويج النزر القليل من نسخ انتاجه .

واظن ان أعظم مشكل ينتظر الحل بالنسبة الى الكتاب التـونسى والكتاب المغربى هو حضوره فى المشرق العربى . ومما يزيد فى شعور المعنيين بالامر بوجود هذه العقبات هو انه كلما زاد عدد العناوين المطبوعة وبقى الترويج على حاله تفاقم الشعور بهذه العراقيل وهكذا بقى الكتاب التـونسى والمغـربى بصورة عامة يدور فى بوتقة ضيقة لا تمكنه من الازدهار وبالتالى لا تدخله فى حركية النمو الطبيعى .

• معالى الوزير كاديب ومنتـج نشيط ومدير مجلة « الفكـر » التى تعتبر بحد ذاتها مدرسة فكرية وكرئيس اتحاد الكتاب ووزير الا يمكن ان تتعـارض هذه المراكـز مع بعضهـا بعضـا وتعرقل مسيرتك الفكرية وتونس بأمس الحاجة لامثالك من الادباء ؟

ـ انك لم تذكر بقية مسؤولياتى المتعددة فى الميدان الرياضى وخاصة فى اللجنة الدولية الاولمبية ... نعم ، أنا موزع على عدة نشاطات واهتمامات ولكنى أحاول دائما أن أحكم هذا التوزع ، بحيث لا أتشتت بل انى ازعم انى نجحت الى حد كبير ليس فقط فى التوفيق بين مختلف أعمالى بل وفى ايجاد علاقات مثرية بينها .

ان كل المهام التى اضطلع بها وسعت من آفاق تفكيرى وتجربتى وجعلتنى أنظر الى الانسان من زوايا متعددة وان كتابـاتى لتعكس بوضـوح مختلـف اهتماماتى ، فليس ثمة اذن اية عرقلة لمسيرتى الفكرية ، المشكل الوحيد الذى يمكن ان يقوم فى ذاتى هو انى بمقتضى تعدد المسؤوليات رجل يكاد لا يعرف

الراحة ولا التسلية ومن حسن حظى أن كانت الشؤون الفكرية والادبية تملأ أوقات فراغى وكفانى ذلك مؤانسة وامتاعا .

● واقع الأديب العربى :

• هذا يجعلنا نسألك سؤالا آخر وهو ما هى نظرتك الى واقع الاديب العربى الراهن وكيف يمكن لهذا الاديب ان يخرج من هذا الوضع ؟

ـ انتم تعنون بالاديب الشاعر والقصاص وكاتب المسرحية والناقد اى الخلاق الذى يصعب ان يعيش بقلمه مهما بلغت شهرته وبالتالى يجد عناء ليمارس حريته تمام الممارسة ويكون قادرا على ان يصدع برأيه ويقف المواقف التى يمليها عليه ضميره .

ان واقع الاديب العربى فى الوقت الراهن لا يخرج عن واقع أى مواطن عربى . فالضغوط التى تسلط على المواطن العربى من داخل وطنه وخارجه هى نفسها والاديب أكثر احساسا بها وأشد تأثرا بوقعها . وتتأتى هذه الضغوط من عوامل عديدة لئن كان الوطن العربى بمعزل عنها فى السابق فانه اليوم غارق فيها اذ وجد نفسه فى خضم الصراع الدولى بين العمالقة وهو صراع سياسى واقتصادى وايديولوجى وثقافى فى آن واحد وهذا اقتضى تحولا فى المجتمعات العربية وانشأ ضغوطا لا اعتقد ان الاديب العربى كان مهيأ لها أو مستعدا للسيطرة عليها اذ هو تتجاذبه تيارات عنيفة الى الماضى فلا يقدر دائما على الوعى بما حوله الوعى الكامل وعوضا عن ان يكون فى المقدمة مثلما كان الامر فى القديم ويلهم الجماهير ويقودها ان لزم الامر ، ترك ذلك الى السياسة والسياسيين وحدهم وتأثر عوض ان يؤثر .

وانى لا أتصور الاديب خارجا من هذا الواقع الا اذا كانت له رؤية واضحة لمستقبل وطنه العربى وكانت له بالخصوص الشجاعة الادبية الكافية ورباطة الجأش وطول النفس وملكة التمييز بين اجترار الشعارات ولوك الكلمات وبين الابداع والتجديد والخيال والعلم ..!

ان مستقبل الوطن العربى لا يمكن ان يكون بمعزل عن العام أو أن يتجاهل الايديولوجيات وان يتفاعل معها ولكنه لا يليق به ان ينساق الى الفكر الفوضوى

والعشوائى كما نلاحظ ذلك اليوم ولعل هذا من الاسباب التى جعلته غير مسموع الكلمة ، غير سباق الى المواقف التى تخرجه من واقعه .

وانى آسف كثيرا عندما أجدنى أمام الحال التى تردى اليها كاتب مثل توفيق الحكيم وهو اسوأ ما يتردى اليه واقع الاديب عندما يصيبه الدوار وبفقد الوعى ويقف مواقف مشينة من أمته وينحط أدبه الى دركات ما كنت لأتصورها.

وانى أتألم عندما أشاهد الكثير من الادباء والمفكرين « العرب » ينبحطون أمام العدو ويدعمون « الهزيمة » العربية فكريا بل يسعون الى التخاص من العروبة والتنكر للأمة .

ان الاديب العربى مفروض عليه اذن ان ينبذ الفكر الفوضوى العشوائى والانهزامى والاستعمارى وان يحمى كيانه كمنتسب الى أمة عظيمة وكانسان يعيش على أبواب سنة 2000 ويتسلح بالشجاعة والجرأة ولا يخاف فى الحق لومة لائم ويقبل ان يضحى فى سبيل حريته والاصداع برأيه . ومستقبل الاديب العربى يرسم ملامحه ويصنعه الاديب العربى فاذا هو انتظر من يصنعه له فانه لن يظفر بالثوب الذى يريده فاما ان يكون دون قياسه أو أكبر منه فيحتاج الى الاصلاح و « الريتوش » .

● **مستقبل الأدب :**

♦ **ومستقبل الأدب والثقافة ـ هل انتم متفائلون به ؟**

ـ وهل هناك غير التفاؤل اذا فكرنا فى المستقبل وتوخينا سبل العمل والخلق ؟ ونحن اذا قسنا ما كان عليه الادب والثقافة فى أوائل القرن وما وصلا اليه الآن يجوز أن نقول ان هناك تقدما . ولكن القضية كما قلت هى ان العالم يعيش عصر التقنية التكنلوجيا اللتين اصبحتا تكتسحان حاضر العالم ومستقبله الى حد بعيد بينما كان الدين والادب والثقافة هى التى تكيف المجتمعات ان العلم والتقنية والتكنولوجيا فى المقدمة وفى الطليعة تفرض على الدنيا سيطرتها بكل قوة اما الادب والثقافة فهما يلهثان وراءها لانهما فى الواقع فوجئا بهذا الزحف ولم يتنبأ به .

انى اعتقد ان بقاء البشرية فى مستقبل للأدب وللثقافة زاهر ، فنحن اذا آمنا بالانسان فلا يكون ذلك الا اذا استرجع الادب والثقافة مكانهما وتكاملا مع المعارف الانسانية الاخرى وأصبحا يحسب لهما حساب مع العلم والتقنية والتكنولوجيا انى اعتقد ان ضمير العالم هو فى مستقبل طافح بالامال للادب والثقافة والا فالفناء هو مستقبل البشرية ولا أرى أن الانسان مهما بلغ من الجنون يصل الى القضاء على نفسه بنفسه ..

محمد مزالي

● **مجلة « أضواء » تنوه بالاستاذ محمد مزالى رجل الفكر والسياسة :**

صدر العدد الجديد من مجلة « أضواء » فى ثوب جديد يحمل عناوين عديدة منها : **الى رجل الفكر والسياسة الاستاذ محمد مزالى** وقد جاء تحت هذا العنوان قول المجلة : محمد مزالى الخطوات النضالية المحفوفة بالطموحات والأتعاب والصمود فى وجه أعنف المشاكل التى تطرحها مضاعفات النمو.. والمؤكدة على عمق الأصالة ضد الذوبان.تلك التى يقطعها رجل بثبات وحنكة على صدر الزمن مسجلا للتاريخ أروع الصفحات .. ومعطرا أرجاء الانسانية بأكاليل الفضائل .

رهان على الحبّ ...

شعر : جعفر ماجد

الكونُ عَينَاكِ لا شمس ولا قمر … والروض خداك لا غُصن ولا ثمرُ
وأنت في دوحة الأحلام أغنية … يشدو بها الحب لا ناي ولا وترُ
وقصة العمر أيام مبَعثرةٌ … حتى أتيتِ فَعاد العمر يَزدهِر
وأينعت في رباه كلّ ذاوِيَة … مرّت عليها فصول وهي تنتظر
ووشح النورُ آفاقا مُعتّمَة … كانتْ كواكبها في الصمت تنحدرُ
يا هذه الجنة الحسناءُ معذرة … إن جئتُ في لهفة أجني وأهتَصرُ
وكان شوقي إذا مَا هاج هائجُهُ … ينصبّ كالرّيح لا تبقي ولا تذرُ
فالورد مقتَطفٌ والطلّ مُرْتَشفُ … والكرمُ منعَطفٌ والخمرُ تُعتصرُ
وللفراشة في الازهارِ فَلَسفَةٌ … تقتاتُ منها على جُوعٍ ..وتنتحرُ
وإنّ لي فيكِ حظا لستُ أعرفُه … وكيف نعرف ما يخفي لنا القدرُ ؟
والمرء يَخشى اذا طال السرور بِهِ … أنْ يعقبَ الصفوَ في أيامه الكدَرُ
وأين كنتِ ؟ وقبل اليوم موعدنا ؟ … ورُبّ يومٍ به الأعمارُ تُختصَرُ
سكنت في الوهم حتى كدت المسه … وعِشتِ في الحلم حتى مسه البصرُ
تِمثالُ حُسْنٍ به آثارُ مُعْجِزِة … يَسْعَى به اللّيْلُ فِي جَفْنِيَّ وَالسّهَرُ
حَاولتُ أرسمُه يَوما فَشردَنِي … وأعجزتْ رِيشتي الألوَانُ والصورُ
هذا الجمال بديع في صناعَتِه … ما كنتُ احسبُ أن قد حازه بشرُ
وهل أُصدّق أنّي لستُ فَاقِدَهُ … وأيِ شيء لَدينَا لَيس يندثرُ ؟
وجنّة الحبّ أعمارٌ مؤقتةٌ … فيها الفناءُ وفيها النارُ تَستَعرّ
وقد رَضيتُ بحظي إن يكنْ قدري … أن لا يطول بسمار الهوى السّمرُ
مَاذا يهمّ ؟ فمهما كنت قاسية … إني رَبحتُ وكل الناس قد خسروا

عقيدتي التربوية

بقلم: د. محمد فاضل الجمالي

الدكتور روبرت هجنس رئيس جامعة شيكاغو الاسبق ومدير معهد الدراسات الدمقراطية في كاليفورنيا . كان يعد من أساطين الفكر التربوى « اللزومي » Essentialist في الولايات المتحدة الامريكية في النصف الاول من هذا القرن . إنه حرر مقالا تربويا لدائرة المعاضر وتفضل بارسال نسخة منه لكاتب هذه السطور طالبا تعليقه عليه .

وفيما يلي ترجمة رسالتى الى الرئيس هجنس معلقا على ذلك المقال . وقد أعلمني بعد استلامه تعليقي بأنه أعاد كتابة مقاله آخذا بعين الاعتبار ما جاء فى تعليقي هذا :

عزيزى الرئيس هجنس :

تلقيت بسرور عظيم رسالتكم المؤرخة 14 جانفى 1963 شاكرا صديقنا المشترك القاضي « جسب » الذى عرفكم بشخصى . وفى الحقيقة انى قد سبق أن سررت بمصافحتكم فى حفل استقبال يوم كنت طالبا فى جامعة شيكاغو . فقد قضيت الربع الصيفى لسنة 1930 فى مدرسة التربية فى جامعة شيكاغو وذلك بقصد ايجاد اتزان فى النظرة التربوية التى كنت أتلقاها فى كلية المعلمين بجامعة كولمبيا حيث كنت أتخصص فى علوم التربية . إن هذه النقطة فى حد ذاتها قد تشير الى موقفى التربوى . فبعد ان درست باخلاص على أساتذتى فى جامعة كولمبيا من أمثال الاساتذة : كلباترك وباغلي وكاونتس وثورندايك الخ ... شعرت بأن سفرى الى جامعة شكاغو قد يزودنى بنظرة تتسم بالشمول والاتزان على التربية الامريكية . ذهبت الى جامعة شيكاغو ودرست على الاساتذة جد وفريمان وبوبيت فى التربية وعلم النفس ، وعلى الاستاذ ردفيلد فى علم الانثروبولوجى .

ومنذ الصيف الذى قضيته فى جامعة شيكاغو وأنا أتتبع باهتمام ما قدمتموه من عطاء جزيل للفكر التربوى فى الولايات المتحدة. ولقد قرأت بشوق عميق مقالكم فى التربية وانى اتفق مع الكثير مما جاء فيه . ويطيب لى أن أعرض عليكم بعض تفكيرى التربوى ملخصا فى رؤس الاقلام التالية :

(1) لا تستطيع أية مدرسة من مدارس الفلسفة التربوية لوحدها أن تكون وافية لتوجيه الانسان، كل الانسان ، فى حياته المعقدة الواعية منها واللاواعية . فكل مدرسة فلسفية لديها ما تقدمه من عطاء . فعلى المختص فى شؤون التربية أن يكون مفتح الذهن وأن يستفيد من كل مدرسة فلسفية بدون تعصب أو ضيق نظر . وهذا يصدق على الفلسفة المثالية كما يصدق على الفلسفات الطبيعية والواقعية والعقلانية والعملية والوجودية الخ ...

(2) أنا لا أؤمن بانشطار حياة الانسان . ولا بتعريف ماهية الانسان تعريفا ضيقا . ففى نظرى ان مزايا الانسان لا تقتصر على نواحيه الجسدية والاقتصادية والاجتماعية . بل ان نواحى حياته الفكرية والاخلاقية والجمالية والروحية هى التى تميز انسانيته . وفى معتقدى إن مهمة التربية الاساسية هى العناية بتنمية كل المواهب الطبيعية للانسان سواء أكانت قدرته على استعمال الآلة او استخدامه ذكاءه أو تمتعه بالفنون الجميلة أو ضميره الاخلاقى أو ملكته العقلية أو اعتقاده بالله . فكل هذه الامور مهمة فى حياة الانسان وكلها تتطلب تنمية موحدة ومنسجمة .

أنا لا اتفق مع الفلسفة التربوية التى تكتفى بصنع رجل الفكر الذى يسكن البرج العاجى . كما أنى أرفض الفلسفة التى تجرد الانسان من مزاياه الروحية أو التى تجعل منه ناسكا متقشفا . إن صورة الانسان الكامل فى ذهنى هى صورة الانسان الذى نمت كل مواهبه نموا منسجما والى أرفع مستوى ممكن .

(3) إنى أعتقد بأن الانسان ، كل إنسان ، ينبغى أن يعطى الفرصة لينمو الى أعلى درجة ممكنة . وإنى لآسف لبعض نظم التربية التى تهمل العناية بالناحية الروحية للانسان . كما إنى لآسف لنظم التربية التى تربى الاطفال وكأنهم طيور فى قفص يزقون بمحتويات الكتب والحفظ اللفظى منعزلين عن الحياة والطبيعة .

(4) إنى اتفق معكم فى ضرورة توفير تربية أساسية لكل بنى البشر . على أن تكون الانسانية هى الاساس لهذه التربية . والانسانية ينبغى أن يفهم بأنها الاخاء والمحبة والرحمة بين شعوب كل الامم وكل العناصر وكل

المعتقدات . والانسان ينبغي أن يربى ليعرف نفسه وبمعرفته لنفسه ينبغي أن يرتفع الى المثل الأعلى الالهى ولا سيما فى حقل الامانة وحب الحقيقة والمحبة والرحمة والغيرية .

(5) إن تربية الانسان فى تراثه القومي الحضارى ينبغي أن توجه لاثراء التراث الانسانى ولا يصح أن يكون التراث القومى فى معزل عن الحضارات الاخرى . وإنى أتفق معكم بأن من المرغوب فيه أن يعرف الانسان لغة أجنبية واحدة على الاقل ولكنى لا أستطيع أن أجعل ذلك اجباريا لكل مواطنى العالم اذ الامر يتوقف على الميول والمواهب والامكانيات .

(6) من المهم جدا أن يربى الانسان على الروح الرياضية وأن يتعلم بأن العنف ليس أسلوبا انسانيا . وان الدمقراطية التى هى المثل الاعلى للانسان الحديث لا يمكن أن تنجح ما لم نتعلم احترام وجهة نظر الآخرين وتقديرها حق قدرها . فالدمقراطية ينبغى ان تصبح الاسلوب الذى بموجبه نسير علاقاتنا الانسانية من أصغر عائلة الى أعلى منظمة دولية . ولكن الدمقراطية تعنى الاستعداد للاصغاء الى الطرف المقابل كما تعنى تربية كاملة فى الصبر .

(7) إن أعتقد أن الفكر الانسانى (الذكاء) ينبغى أن يستخدم فى كل المستويات التربوية . فالانسان لا يصح أن يصبح مجرد آلة ميكانية وهذا يجعلنى لا أشاطركم الرأى فى عدم تمييزكم بين التدريب والتهذيب . فانى أفضل أن أستعمل كلمة التدريب للحيوانات على الاكثر وكلمة التهذيب للانسان .

(8) أنا لا أشاطركم آراءكم حول تربية المعلمين . أنا أعتقد بأن المعلم الحديث يحتاج الى أن يستنير فى مهنته بما تزوده به فلسفة التربية وتاريخ التربية . كما انه ينبغى ان يربى ليستطيع التمييز بين أساليب التعليم المختلفة ومعرفة الصالح منها والضار . وهذا يتطلب معرفة كافية لعلم نفس الطفل وعلم نفس التعلم . إن عملية التدريس عملية معقدة بدرجة تجعل التدريب على آليات التعليم غير كاف لنجاح المعلم . فالمعلم الجيد يحتاج الى الحكمة والمعرفة التى يوفره له الاعداد المهنى .

(9) إنى اتفق معكم بأن انتشار وسائل الاعلام والاتصال من جهة وتوفر الفرص الجديدة لأوقات الفراغ من جهة أخرى ينبغى أن يسمحا للفرد بأن يسير على مهل فى نموه التربوى . وان التربية ينبغى أن تؤكد الافرادية فى نواحى الحياة الفكرية والجمالية والروحية الى

جانب التأكيد على الجماعية فى قضايا الترفيه والعمل الاجتماعى . وإنى بكل تأكيد لا أدعو الى حشر الطلاب بنين وبنات فى المدارس مع فرض أوقات محددة على تربيتهم وجعل سيف الامتحانات والحصول المستعجل على الشهادات مسلطا على رؤوسهم . ففى رأيى ان الطالب ينبغى أن يشعر بحرية تامة وبراحة فى تلقيه تربيته . ربما ان التربية تلازم الانسان طوال حياته فلا يجوز ان تصبح عامل ضجر وحشو للمعلومات .

(١٠) إنى أؤمن بالفروق الفردية وبعلاقتها بالتخصص فى شتى مناحى الحياة . ولذلك أرى أن يكون برنامج التربية ثريا بالنواحى الفكرية والعملية والفنية ليلبى رغبات وقابليات الافراد المنوعة . المهم هو أن يشترك الجميع فى الحصول على الاسس الضرورية فى درس العلوم الانسانية وهى العلوم التى تنمى ازدهار الانسان فى الحرية والكرامة الانسانية .

(١١) إن حرية الاختيار وتنويع الاختصاص لا يجوز ان يعنيا تربية سطحية أو انضباطا رخوا . فاذا وجهت قابليات الافراد توجيها صحيحا فانها قد تنتج أفضل انضباط يحتاجه الانسان للتمتع بحياة راقية ذات نظام . وإنى بكل تأكيد لا أشاطر رأى الذين يدعون الى تربية رخوة وانضباط منحل . إنى أؤمن ايمانا عميقا بالانضباط على أن يكون انضباطا حرا وليس انضباطا مفروضا من الخارج يحمل معه الخوف والكراهية .

(١٢) أنا أعتقد بأن قضية التربية ليست قضية قومية فحسب. انها قضية دولية . فان الطريقة التى توجه بموجبها التربية فى بلد ما قد تؤثر على العالم بأجمعه . وإن تخلف أمة ما هى مشكلة ليس للامة المتخلفة وحدها ولكنها مشكلة للانسانية كلها . فان تقارب الشعوب من بعضها وذوبان المسافات جعل من كل البشرية جسما عضويا موحدا . ولكن هذه الوحدة العضوية ينبغى أن تشفع بوحدة ذهنية واخلاقية وروحية بحيث يتيسر للانسان أن يحقق الغرض الذى وجد من أجله على هذه الارض ..

هذه هى بعض الافكار التى عنت لى وأنا أطالع مقالكم . ويسعدنى جدا أن يستمر الاتصال فيما بيننا وأن أسمع منكم ثانية .

الدكتور محمد فاضل الجمالي

بطل يبلوره الصمود..

شعر : الصادق شرف
(أبو وجدان)

مهداة الى بطل الفكر والكفاءة والصمود ، الاستاذ الجليل السيد : محمد مزالى فى يوم تعيينه على رأس الحكومة من قبل السيد رئيس الجمهورية .

* * *

مَالِي أرَى شعري تَدفّقَ راقصا.. وجناحهُ قَدْ زَادَ في التّحليقْ ! ؟
أ لأنّ قلبي صفّقَتْ كفّاهُ مِنّي غبطة ،
يا قلبُ صفّقْ .. وامزُجِ الإنشادَ بالتصفيقْ ..!
إني لأسكرُ فرحة ، وأكادُ أجزمُ أنّني من سكرتي ، لا .. لن أفيقْ ..
حلمُ الفؤادِ متى أراكَ على المَواطِنِ ـ ياعَزِيزا ـ راية خفّاقة ،
وهل الجَنَاحُ يطيرُ بالجسدِ الجسيم تُرى بلا تَخْفيقْ . ؟
حُلمٌ أنا استوطنته منذُ البعيدِ ،
ومَنْ يكُنْ في ذلك الحلمِ الجميلِ ،
فَهَلْ يودّ بأنه لو يستفيقْ . ؟
لكنّني منْ ذلكَ الحلمِ الجميلِ وَدَدتُ أنّي ..
اذْ أُفيقُ أرَاكَ أنتَ حقيقة،
والحلمَ داخلَ حيِّز التحقيقْ ..
فأراك يا رجلَ الكفاءة والصمودِ ، كما يكونُ الحُلْمُ فِي خَلَدِي ،

لأنْتَ المنقذُ الوطنيُّ ، والإنقاذُ يفقدُ طعمَه منْ غيرِ ضيقْ .

* * *

كُلِّفْتَ بالتّنسيق يا فرَحي ،
ويا املي الحبيبُ اختارَ شخصَكَ ،
إنّ هذا مُحْكَمُ التنسيــقْ ..
نسّقْ مسيرةَ شعبِنا ، فلقد غدوتَ صديقَهُ ،
والشعبُ صارَ لَكَ الصديــقْ ..
شعبيَّةُ الرّجلِ الحكيم تقودُه للفوزِ ،
فَهوَ ممرّنٌ والشعبُ كلّه خلفَه أقوى فــريقْ ..
رافقه في هذا المسارِ الصعبِ ،
إنّ صديقَه مَنْ ظلّ في زَمَنِ الشدائد مخلصَ الأفعال للنّخلِ الرّفيقْ .
فاسلمْ لَهُ ، فعَليك علّق كلّ آمالِ الوصولِ ،
إليكَ يرتاحُ ارتياحا ، لاَ .. ولنْ يحتاجَ للتعليقْ ..
لِمَ لاَ .. وأنتَ الفكرُ ، انتَ السمعةُ الحسناءُ ،
في كسْبِ الرّهانِ حضارة ، لاَ .. لَنْ نَضَلّ بِكَ الطَّرِيقْ ..

* * *

يا فرحتي ، طَربَ الفؤادُ لأنْتَ تَقْفزُ عــاليـا ،
ما كنتَ تقفزُ عاليا لو لم تكنْ تدري
فُنُونَ القفزِ في العمقِ السَّحيــقْ .
وبقدْرِ ما طربَ الفؤادُ إليكَ تقفزُ عاليا ،
إني اخاف مِنَ الــعــُلاَ ..
لولا يَقيني أنّك الرجلُ الرّياضيُّ العــريقْ ..
فلقد رأَيْتُكَ تستميلُ الأجنبيّ رِيَاضَة...

لاشكَّ بالتَّرويضِ تقدرُ أنْ تُميلَ عَنِ الشقَاقِ هوى الشقيقْ ..
وعلى قواعدَ جدٍّ ثابتَةٍ ، من النظريِّ تدخلُ شامخا مَيدَانَ تطبيقٍ ،
هَلِ النظريُّ ينجحُ دونَما تطبيقْ . ؟

* * *

هذا أوانُكَ يا رفيقَ الحرف ..
أُقسمُ بالرجولةِ : إنَّكَ الفكرُ الدّمقراطيُّ ..
تؤمنُ أنَّكَ الحرّ الطَّليقْ ..
وأرى التأزّمَ كلَّه فقدَانَ ذاكَ الفكرِ في وطن العروبة كلِّهِ
فاسبقْ ، ألا قَصَبُ السباق بمَنْ يَليقْ !؟
... بالفكرِ أنتَ أساسُهُ ،
حَانَ الأوانُ لكي نَرى الجدران ترفعُ ،
بَينَهَا والسقفَ أنتَ زرعتَ إسمنتا ، تَسَلّحَ قاهرُ التمزيقْ .
تلكَ المبادئ أنتَ تكتبها على صفحات فكرك منذ كان الأجنبيُّ يسوقُ
شعبي كالرقيقْ ...
ولقد أتَى زمنٌ لتكتبها على صفحات حُكمكَ بالمداد الأخضرِ الوهّاجِ
يرفُضُ أنْ يُلَوّحَ بالبريقْ ...

* * *

أنتَ الذي قَدْ حَانَ مَوعدُهُ مَعَ التاريخِ
وابتدأ اللقاء بأمّتي وكما التقى حبلُ النجا بيدِ الغريقْ !
فعَلى عيونِ الغارقين ضبابةُ السيلانِ فوق الخدِّ ..
فوقَ الأرضِ ..
فوقَ جبينِ تاريخٍ حَديثٍ قدْ جَرَى السَّيلاَنُ أحمرَ كالعقيقْ .

إنَّ السفينَةَ أبحـــرتْ ..
والبحرُ جَهْمٌ ، والخِضَمّ مُرَجْرَجٌ ،
والمرفأُ المغمورُ بالأمواجِ يحلمُ بانتشالِ سفينةٍ وَسَطَ المَضِيقْ ..
ولأنتَ مَنْ يَجْتَازُ في هيجانِ هذا الصمتِ بالأسطولِ زوبعةَ الرمادِ..
تَقِيهِ مِنْ خَطَرِ الحَرِيـــقْ ..
وأراكَ يا بطلا يُبَلْوِرُهُ الصمودُ على مَشارفِ أمَّتِي ..
يمشي الهوينا وَاعِدا ..
يمشي ولا أحدٌ سِـواهُ على الطريـقْ .
بطلا رأيتُهُ مُفردا عَلَما على دربِ القُدُومِ
أهذه الشمسُ التي قَدْ جَاءَ يَحْمِلُها على كفَّيهِ في طَبَقٍ أنيقْ ؟...
أمْ أنها كأسُ انتصارٍ جاءَ يحملها .. ؟
وهَذا الشعبُ حَوْلَهُ كالفريقِ مردِّدا :
« قَدْ فَازَ بالكوبِ الفريـقْ ».

★ ★ ★

واصل طريقكَ واحترز مِنْ زارعِ الأشواكِ في دربِ القدومِ
لربما هُو شوكَةٌ مَنْ كَانَ كالعودِ الرقيقْ ..
يا وردة تعلُو على الأعواد وهْيَ جليلةٌ ،
أهِيَ الطبيعة دجَّجتها صدفة بالشوكِ ؟
أمْ ذاك السّلاح بِهَا يَلِيقْ ؟
شتَّانَ بَيْنَ مُفَكِّرٍ ما حَادَ يوما ، ثابتِ المَبدَى.
وبين مراوغ مع كلِّ ناعقةٍ يميلُ معَ النعيقْ ! ؟

الشعبُ يعرفُ خصمَه وحبيبَه
ولأنت منْ يرضاهُ شعبٌ طيبٌ ، ومسالمٌ ،
لـكنَّه لا يقبلُ التمزيقَ والتـلفيقْ.
لا يقبلُ العنفَ الذي يجتاحُ مغربَنَا ، الحوارُ الحرّ ملتصِق به ،
والسّلمُ صارَ بها اللّصيقْ ..
فإذا اطمأنّ لصدقِ مسؤول تعشّق قَولهُ وفعالهُ ..
وإذا تملّقهُ ، يظلّ جوابهُ صمتا مع التصفيـقْ ..

★ ★ ★

مازلت أنت محمّدا
ويقلُّ مَنْ يبقَى له اسمُ (محمّدٍ) إنْ لم يكن للشعب خيرَ صديقْ..
سلمتْ عيونُك ـ يا أعزَّ الناسِ عندي ـ إنّنا لنرى بها المستقبلَ البسامَ...
يُفسحُ أيَّ دربٍ قدْ يَضيقْ ..
اللهُ يَحرُسُـكُمْ
والشعبُ يؤنسكُمْ
وتونسُ كلها تدعو الى حامي الحِمى بالعزّ والتوفيقْ.

الوردية : 1 مارس 1980
الصادق شرف (ابو وجدان)

في أصول اللغة ..

بقلم : محمد فنطر

– ١ –

دين

ما ان استكمل الانسان انسانيته حتى تفتق فيه الشعور الديني وشعر بضرورة التعبير عن اعترافه بسلطان القوة الكامنة في الكون وما انفك منذ تلك العصور السحيقة يعبر عن طاعته وخضوعه بالحركة والكلمة فكانت الديانات الأمية وكانت الرسائل السماوية حتى نزلت الآية الكريمة : « إن الدين عند الله الاسلام » .

فكلمة « دين » مشتقة من مادة « دان » . « دين » وتحتوي لغة على معان عديدة مختلفةفيها معنى الحساب والمحاكمة والجزاء والعقاب . فدان (دينا) فلانا جازاه – أحسن اليه – حكم له أو عليه و « ديّن فلانا » الشيء ملكه إياه ويوم الدين هو يوم الحكم أو المحاكمة .

وفي مادة دان « دين » معنى الطاعة ومعنى السلطان الى غير ذلك من المعاني التي أوردها لسان العرب دون ما ترتيب ولا نظام يخضع لمنطق تطوري تاريخي ولا نريد هنا التعمق في البحث حول مادة « دان » بل سنكتفي بتقديم افتراض حول أصل لفظة « دين » المشتقة من المادة نفسها وذلك بالاعتماد على ما ورد في لسان العرب حول المادة واستعمالاتها وبالاعتماد كذلك على بعض اللغات السامية القديمة كالأشورية والفنيقية والعبرية .

المادة تتركب في الواقع من حرفين اثنين وهما : د ـ ن فمادة « دن » نجدها في بعض النصوص الأشورية منذ الألف الثانية قبل الميلاد نذكر منها رقيما يتعلق بالملكية العقارية وتحرير الوثائق الضابطة للملكية (١) فجاء في الرقيم

---

(١) انظر P. Garelli, le problème de la " féodalité " assyrienne des XV^e au XII^e siècle avant J. c. Semitica XVII (1967) P. 7

المشار اليه ما يلى واليك النص الأشورى مكتوبا بالأحرف العربية « إنا أشل شرى يمدد وتف دنت أن فنى شرى يشطر » ومعنى ذلك : « بحبل الملك يقيس وبحضور الملك يسطر رقيما قويا » فكلمة « تف » تعنى الرقيم أى لوحة من طفل من صلصال تسطر عليها الكتابة بالمسطار كقولك : « والطور والكتاب المسطور » سطر بمعنى كتب أى نقش بالمسطار على مادة صلبة كالصخر أو على مادة لينة كالطفل غير المفخور .

« تُفٌ دُنَّتَ » أى رقيم قوى ذو سلطان بمعنى نافذ فلفظة دنت مشتقة من مادة « دن » التى هنا تعنى القوة السلطان . فمعنى القوة نلمسه فى كل المعانى التى تستفاد من مادة « دان » على اختلافها كمعنى المحاسبة والمحاكم والتمليك والجزاء والعقاب وغيرها كلها تتضمن معنى القوة وكلها أعمال ومواقف تستوجب القوة بل حتى اسم « المدينة » تتضمن وجود سلطة تسهر على شؤون المتساكنين فيها وشؤون الذين يعيشون حولها فالمدينة مركز القوة والسلطان مركز الادارة والحكم ففيها من يقضى بين الناس ولا يقضى بين الناس الا من توفرت لديه عناصر القوة الشرعية والقوة المادية التى يستوجبها التنفيذ .

ومعنى القوة الذى لمسناه فى مادة « دان » أو « دن » عند الأشوريين وعند العرب نلمسه أيضا فى لسان الكنعانيين حيث نجد لفظة « أدن » وتعنى السيد ـ العزيز المالك . ومن الالقاب التى كان الفنيقيون ينسبونها الى الله بعل حمون لقب « أدن » وقد ورد هذا اللقب على آلاف الانصاب التى أقيمت قربانا لبعل حمون فى توفات طرقاج وفى توفات سوسة . فبالنسبة للفنيقيين والبونيقيين بعل هو القوى ذو السلطان صاحب الكون . لذلك لقبوه بلقب « أدن » فأدن اسم من اسماء بعل حمون ولقد اسند هذا اللقب الى الالهة تانيت على بعض الانصاب فعلى نصب عثر عليه فى توفات سوسة لقبت تانيت بلقب « دت » (1) وهو مؤنث « أدن » بسقوط الالف والنون واضافة

---

(1) محمد فنطر Recentes Découvertes dans les domaines de l'archéologie et de l'Epigraphie punique.
Bulletin Archéologique du comité des Travaux Historiques et Scientifiques. Nouvelle Serie n° 7 1971 Paris 1973 p. 257

تاء التأنيث فعوض « أدنت » تسقط الالف والنون ويقال « دت » ومعلوم أن سقوط النون كثيرا ما يحدث فى العديد من اللغات السامية ففى اللغة الفنيقية « بن » فى قولك : « على بن زيد » يتحول فى صيغة المؤنث الى بت عوض بنت والملاحظ أنه حتى فى بعض اللهجات المحلية فى تونس يقال : « بتى » عوض بنتى هكذا نجدها فى سوسة وفى بعض المدن والارياف التونسية .

ومهما يكن من أمر فاللفظة الفنيقية « دت » وهى صيغة المؤنث من « أدن » تعنى هى الاخرى القوية ، القادرة العزيزة . فالنتيجة من هذا العرض الموجز أن مادة دان أو « دن » تحتوى جذريا على معنى القوة فالدين هو ما يستدرج الانسان نحو القوة الكامنة فى الكون أو القوة التى بدونها لا وجود للكون أو القوة ألتى تسهر على ادارة الكون فالدين هو القوة وهو ما يجعلك تقف عند القوة وتعترف بكيانها وتخضع لمشيئتها وتعرب عن اعترافك لها بالقوة والحركة والعبادة هى الحركة والكلمة اللتين بواسطتهما يعبر الانسان عن ايمانه أى عن اعترافه بالقوة الالهية مصدر الكون وتصويره .

محمد فنطر

الحب قبل الخبز

قصة : فاطمة سليم

أحببت جدا هذه الصبية ، كانت لى سكرتيرة طيبة مطيعة مجتهدة .

أفرح عندما تستقبلنى كل صباح فى الادارة بوجه مشرق باسم وهندام أنيق محتشم وكلام مهذب مختار .. كنا نتعاون فى العمل ؛ وعندما نجد قليلا من الفراغ نتجاذب الحديث .. تعجبنى الصراحة فيها اذ تقول :

أنا سكرتيرة أجيب على الهاتف أرقن المكاتيب والخطابات ، أستقبل سيدتى المديرة وألبى طلباتها ، أبتسم فى وجوه الزوار وأفهم حاجاتهم ، أتظاهر بأنى سعيدة راضية ولكنى فى الحقيقة لست سعيدة بل شقية وشقية جدا .

وأسألها :

ـ لماذا يا صغيرتى .

فتجيب :

ـ لأن حلمى كان دائما أكبر واجتهادى المدرسى ظننته سيؤهلنى لمستقبل أفضل . أحببت أن أصير محامية ألبس الروب الأسود لا من مكتبى الى المحكمة بل من البيت الى المحكمة أشق به شوارع المدينة ليعرف كل الناس ان المرأة قادرة على الدفاع عن الحق والعدل وتحقيق النصر ، ولكن أمانى تحطمت بانهزامى فى امتحان البكلوريا والحاح اهلى على بالعمل لمساعدتهم وللانفاق على حاجياتى والمشاركة فى تجهيز بيت عريس المستقبل ابن جارنا الشاب المهذب اللطيف الظريف الذى يعمل فى الخارج ويرسل المال لأبيه وأبوه يجلب البنائين والنجارين لكى يعد طابقا فوق منزله يسكنه ابنه الصالح .

وأجيبها :

ـ يا عزيزتي ان كل ما تعطينا اياه الحياة جميل ومفيد ، فعلينا أحيانا أن ننسجم مع الواقع حتى نحفظ لأنفسنا التوازن ، وفي نفس الوقت يكون من الرائع جدا أن يسكننا الطموح العاقل ، وان نطور حياتنا ونحسنها ونصل الى تحقيق أهدافنا ولو استغرق ذلك زمنا أطول .

وتفرح الشابة بكلامي وتلمع عيناها المزوقتين باحتشام وتسألني :
أفهم من كلامك أنه ليس من المستحيل أن أصير في يوم ما محامية .
فأجيبها :

ـ طبعا وكيف يكون مستحيلا اذا تسلحت بالاجتهاد والمثابرة والصبر فساعات النهار طويلة وأيام العطل والراحة عديدة ويمكنك تخصيصها للدرس والاطلاع والمشاركة في الامتحانات . ومن البداية ضعي أمام عينيك أن الفشل مرة في أي امتحان في هذه الحياة لا يعني الفشل في كل المرات وصرت مع هذه الصبية أتغاضى عندما أدخل عليها مكتبها وأجد بين يديها كتابا تغرق فيه رأسها وعينيها وقلبها ، وأكتفي بسؤالها عما تقرأ لكي أشعرها ان العمل الخاص يكون خارج أوقات عمل الادارة وأكلفها بالجديد .

ولكني أقول في نفسي : ان اهتمام هذه الشابة بالمطالعة على حساب وقت الادارة أفضل عندي ألف مرة من ثرثرة بقية الموظفات في التلفون : ماذا طبخت لتلك المناسبة ؟ وماذا لبست لتلك السهرة ؟ وما هي أخبار قلوب الناس وشياطينهم لهذه الأيام ؟! ، وأفضل عندي من مضغ العلك وصبغ الأظافر وتزويق الوجوه وشغل التريكو وتقشير الجلبان تحت المكاتب .

ومرت خمس سنوات غاب فيها عني الوجه الحلو لهذه الصبية الطموحة لم أعرف شيئا من أخبارها وأحوالها ذلك أني انتقلت الى ادارة اخرى في بلدة أخرى فانشغلت هي بمديرات أخريات وانشغلت أنا مع سكرتيرات أخريات .

ومنذ أيام كنت واقفة أمام محطة الحافلات في وقت خروج موظفي الادارات حين الازدحام والسعي الحثيث .

ورأيت سيدة صغيرة جميلة أنيقة صبغت الشمس لونها بالورد ومزج المزين شعرها بالذهب والحرير ، وطبعت هي نفسها بالوقار ، وحلاها الخالق بأحسن حلية بطن صغيرة مكورة تقول : اني أنتظر أمومة سعيدة .

وأحسست بالاشفاق على هذه السيدة الجميلة الحامل من زحمة ركوب الحافلة العامة ولكني قلت في نفسي : ان الجمهور مهذب ويعرف الواجب نحو

مثيلاتها . كانت على عيني نظارة شمسية داكنـة وعلى عينيها نظارة مماثلـة فشمس الصيف لم تغادرنا بعد رغم اننا فى الايام الاولى من الخريف

ولعل نفس الوازع النفسي الذى قربنى من الاهتمام بهذه السيدة جعلها هى أيضا تهتم بى . فصارت الواحدة منا تسـرق النظـر من تحت نظارتهـا الى وجه الاخرى وهيئتها وتسرح فى التذكر .

وفجأة وفى نفس الوقت تقدمنا نحو بعضنا منها خطوة ومنى خطوة فاذا بنا نتعارف قالت ببساطتها وصراحتها :

ـ شاب شعـر رأسك يا سيدتـي ولهـذا لم أعرفك فاعذرينى قلت وأنـا أضحك .

ـ انه شيب مزيف اشتريته من عند المزين كما اشتريت أنت لون الذهب

قالت : تلك هى العادة أن تسعى البنت بعد الزواج لتغيير شكلها وألوانهـا لعل الحياة تزهر لها وتضحك .

قلت : كان صعبا أن أتعرف عليك بسرعة بعد خمس سنوات تغيرت فيها تماما خاصة وأنا متوقعة أن أراك يوما فى الشارع بروب المحاماة الأسود كما وعدت . وعرفت أنى أشير الى حكايتها القديمة مع الطموح وأنى اريد أن أعرف آخر أخبارها .

اقترحت :

ـ سيدتـي العزيزة اذا لم تكونـي مستعجلة هل تسمحيـن بأن نتمشـى ونركب الحافلة من المحطة القادمة قلت : حبا وكرامـة ، ولعل الحظ يسوق الينا سيارة أجرة نركبها تعوض علينا الوقت .

وتمشينا وبدأت تحكى قالت :

ـ عندى سؤال حيرنى لم أجد من يجيبنى عنه .

قلت : ما هو ؟

قالت : اريد ان اعرف لماذا انتقلت من دار أبى الى دار الجيران ؟ .

فقلت : بالزواج يا عزيزتى لا شك أن أشياء كثيرة جميلـة دخلت حياتـك خاصة وأنـت تستعديـن للامومـة للمـرة الثانيـة ان هـذا جميل ورائـع .

قالت : فـى بيت أبى كنت أتعب فى عملى بالشـارع لأساهم فى النفقـات واتعب فـى عملى بالبيت ليرتاح أبى واخوتـى الذكور فأنـا البنت الوحيـدة ومضطرة لمساعدة أمى ، الذكور عندنا فى البيت لا يخدمـون أحدا ولا حتـى

أنفسهم ابتداء من شربة الماء الى كى الملابس الى اعداد سرير النوم . وبعد المشاركة فى تجهيز شقة ابن الجيران الذى يعمل بالخارج تزوجته وانتقلت اليها .

وكما تعرفين عنى يا سيدتى فانى أحلم كثيرا وأطمع أكثر حلمت بالحب والمرح والتطور .. حلمت بالسفر مع ابن الجيران الذى يعيش فى الخارج وأنا التى لم تسافر أبدا وصرفت مداخيل السنوات على تجهيز بيت الزوجية فى انتظار حياة سعيدة فيها الجديد .

ولكن الذى حصل ان ابن الجيران أخذ عطلة طويلة من شغله فى الخارج وقد كان يدخرها من سنوات لمثل هذا الحادث وفى تلك الاثناء تم زواجنا ؛ وفى نهاية العطلة تركنى زوجى حاملا ورجع الى شغله فى انتظار أن يزورنا فى عطلة قادمة ، وعدت أنا الى عملى أيضا أسوق أمامى بطنا صغيرة ما لبثت ان كبرت ، وبعدها صرت أما لبنية جميلة عمرها الآن بضعة شهور وانى ما زلت الى الآن أتساءل ما معنى الزواج ؟ وما معنى الحياة المشتركة ؟ وما هو واجب كل من الزوجين نحو الآخر ؟ وهل الزواج معناه بالنسبة للمراة مزيدا من الاعباء والمسؤوليات فقط ؟ أم له مفهوم آخر ؟ .

كل هذه الاسئلة تحيرنى ولم أجد لها جوابا .

لقد قاسيت متاعب الحمل والولادة وحدى وزوجى غائب لم ار من مشاركته اياى فى تعبى وفرحى الا رسائل منمقة معطرة تحوى كلاما جميلا لعله ينسخه من بعض الكتب فهو سعيد وفرحان ويحلم أثناء الليل بأنه سيصير أبا بعد عدة شهور ، وينسى أنه لم يدفع ثمنا لتلك السعادة الا عطلة صغيرة قضاها معى .

وبعد ولادة ابنتى العزيزة « أمة الله » بنحو الشهرين استطاع زوجى أن يحصل على رخصة استثنائية وجاء ملهوفا ليرى ابنته .

لقد آلمنى ذلك ولم يفرحنى ..كانت اول جملة نطق بها عندما فتحنا له الباب .

ــ اين ابنتى « امة الله » هل هى جميلة مثل أمها ؟! .

اذن فهو تزوجنى جميلة فقط لأنجب له بنتا جميلة ؟

وهنا رأيت الدموع فى عينيها فتكلمت لأعطيها فرصة لتدارى دمعها قلت :

ـ ألم تقترحي عليه أن يتوقف عن الغربة ويستقر فى وطنه ويعمل أى عمل مفيد خاصة وقد حقق أكبر مشروع فى الحياة وهو بناء منزل وتأثيثه .

قالت : لقد فعلت ذلك منذ البداية لكنه أجابني جوابا عجيبا اذ قال :

ـ مثلى لا يحتاج للاستقرار فى وطنه الى منزل مؤثث فقط .. ان الطريق ما زال أمامي طويلا فبعد المنزل على أن أجمع ثمن سيارة فاخرة تليق بمقام من قضى عدد السنوات التى قضيتها فى الخارج وبعد السيارة على أن أجمع رصيدا ضخما من المال لأفتح به مشروعا اقتصاديا هاما .

قلت : تفكيره ليس باطلا يا ابنتي ولقد صح نعتك له يوما ما بالابن الصالح يبقى عليك ان تقترحي عليه اقتراحا آخر وهو ان تسترخصي من شغلك لبضع سنوات وتصحبيه الى الخارج حتى تتمتعا بحياتكما المشتركة .

قالت : لقد اقترحت عليه أيضا هذا الاقتراح رغم ما فيه من مجازفة بالنسبة الى فليس سهلا على المرأة فى وقتنا الصعب أن تتخلى عن شغلها من أجل رجل ولكنه أجابني جوابا عجيبا آخر اذ قال :

ـ فى الخارج يا عزيزتي لا أستطيع ان أجد لك شغلا ، تعوزك لغة أهل البلاد وخبرتهم ، وانا ارفض ان تكون لى زوجة لا تكسب . وعندها صرخت :

ـ ولكنك تكسب ما يكفينا ؟

فتكلم بدون مبالاة وهو يلاعب طفلته .

ـ هذا صحيح ولكن ما أكسبه أدخر منه للمشاريع الكبيرة التى تعرفينها ، ومن رأيي ان استقلال المرأة المادى شيء مهم جدا .

ـ ولكن هذه أنانية ! دخل الزوجة من تعبها وعرقها وأعصابها وشبابها يذهب هباء فى النفقات اليومية للبيت والاولاد ، ودخل الزوج يدخر للمكاسب والمشاريع التى تبقى وتنمو له وباسمه ضحك وقال :

ـ ولكن الاولاد اولادنا معا ومستقبلنا مشترك فمم تخافين ؟ .

واخفيت فى سرى العجب والقول :

ـ (من يضمن ان الحياة ستمضى مشتركة هانئة على النحو الذى يرضيك أنت فقط أيها الرجل أيها الزوج المحترم) .

تدخلت :

– ألم تسأليه كيف يستطيع رجل متزوج أن يعيش بدون أن تكون زوجته قريبة منه ؟

قالت :

– نعم سألته ، وأكثر من ذلك أستعطفته قلت له : ان لم تكن بحاجة أكيدة الى قربى فأنا بحاجة ملحة الى قربك . ولكنــه أجابنى بأكثر من العجب :

– تصرفى من هذه الناحية كما كنت قبل الزواج أعنى اصبرى فما هى الا سنــوات .

– وأنــت ؟.

وبدون عجل قــال :

– بالنسبة للرجــل الذى يعيش بلاد الآلات الرهيبة والضبــاب الكثيــف وحرية الانسان ،، تلك الامــور لا تمثل مشكلة على الاطلاق يمكن أن تســوى بأى طريقة من الطرق وصرخت من جديد :

– يــا للعجب كــل شيء لك ولا شيء لى حتى أبسط الحقــوق فــى حيــاة امرأة متزوجة !؟

وتوقف الحوار هنا وسافر الزوج من جديد .

واكتشفت بعد أسابيع أننــى حامل للمرة الثانية كما ترين يــا سيدتــى ؛ وسوف أقضى شهور الحمل وحيدة متعبة مضنــاة كالمرة الاولى وسيزورنــى حتما عندما يغشاه الفرح وتطير به البهجة لأنه أصبح أبــا للمرة الثانية .

وكتبت له أشكو احوالى وأهدد ولكنه سكــت عن الجواب فقد تعلم البــرود وارجاء النظر فــى الامور من طبيعــة أهل البلاد التى يعيش فيهــا . وفاتحت أبويه فى الأمر :

– يا سادتى أنا حامـــل .

– فهلل أبوه وزغردت أمـــه :

يا فرحتنـــــا .

– « سيملأ ابننا علينا البيت أطفالا ان أمانينا تحقق » .

وصرخت أعمــاقى : (أمانيهم تتحقق ! ابنهم الغــائب البعيد يمــلأ عليهم البيت أطفــالا ! كأن الأطفال دمى تشترى بثمن بخس وتوزع فى البيت لتملأه

فرحا وحركة .. هكذا بكل سهولة . أما من تحمل وتلد وتربي وتتعب وتصرف وتسهـر فلا أحد يسأل عنهـا أو يذكرها حتى عرضا ويقول شكـرا لها انها مسكينة تناضل وتتعب من أجل الجميع) .

ـ وسألت :

ـ هل يبعث لك المصاريف على الاقل ؟ فأجابت :

ـ فـي شكل قراطيس تحوى هدايا موصى عليها فى قائمات توضع فـي جيوبـه من طرف جميع أفراد العائلة الأقارب والاباعد بنحو لا يفيدني بشـيء كشابـة ولود بحاجـة الى عناية جسمية وذهنية ولا يفيد ابنتى الرضيعة فى تغذية بدنها وعقلهـا وصحتها ،، بالله عليك يا سيدتـي الا يحتاج الرضيع الى انس وعناية أبويه حتى وعمره بضعة شهور .

قلت : انه يحتاج الى ذلك حتى وهو لا يزال فى بطن أمـــه .

أضافت :

ـ انني لا أجد الوقت ولا المزاج لأرفه عن نفسي بسنيما أو مسرح أو نزهة أو قراءة كتاب ، ولا أجده كذلك لملاعبة ابنتى والترفيه عنهـا بل بالعكس ، المسكينة على صغر سنها تتحمل منى الصراخ والصخب وشيئا من الاهمال .

ـ ولم ذلك ؟ هذا حرام ليس للصغيرة ذنب !

ـ يا طالما دفع الصغار ثمن ذنوب يرتكبها الكبار .

ـ والسيدة حماتك هل تقدم لك بعض الخدمات ؟ أم أنها مستقلة بالطـابق الارضى تتصرف كجارة محترمة ؟

ـ يا ليت الامر كـان كذلك ، لقد نسيت أن أخبرك ان الطمع فـي التوفير وتنمية المكاسب أوصلهم الى حد ايجار بيتهم الارضى ومشاركتى المسكن فى الطابق الاول بدعوى ايناسي فى غياب زوجي وهم ثلاثة :

أولا : حموى وأهم أعماله فى البيت استقبال زملائه من الشيوخ المتقاعدين للعب الورق والثرثرة بأصوات صاخبة أو للاستماع الى اسطوانات دينيـة او عتيق الأغاني بصوت عال كأن لا أحد سواهم فى البيت ، وطبعا هات يا .. شاى ويا .. قهوة ويا .. مأكولات ويا .. مشروبات .

ثانيـا : أخو زوجي وهو شاب لا أدرى ماذا يفعـل أراه كل يوم يتجمـل ويتعطر كأنه ذاهب الى مسابقة للفوز بلقب أجمل رجل وهو لا يحب أن يسأله

أحد الى أين يذهب ؟ هل يعمل ؟ أو يدرس أو أين يقضى أوقاته ؟ . مغرم فى البيت بالاستماع الى أشرطة الغناء الاجنبى والاستماع الى الاذاعة والتلفزيون على البرامج الاجنبية يفتح الجهاز على آخره وينسجم معه ترديدا ورقصا وحده أو مع رفاقه فـى أى ساعة من ساعات النهار أو الليـل دون أى اعتبـار لبقيـة سكان المنزل . فأحيانا تسمع الموسيقى الاجنبية صاخبة صادرة من غرفتـه والاناشيد الدينية عاليـة صادرة من غرفـة أبيه ولا أحـد يجرؤ علـى توجيـه ملاحظة للآخر محافظة علـى مستوى العلاقات فى هـذا البيت السعيـد ، ومن فضل الله ان الشقة كبيرة ولها شرفات عديدة وموصولة بسطح يشرف علـى المدينة من ناحية ويمكننى من رؤية السماء والشكوى الى الله ومناجاة القمر .

أما الثالثة : فحماتى الطيبة المسكينة التى تحبنى كثيرا ومن شدة الحـب تنسى أننى موظفة متعبة ومهمومة ، فتترك لعهدتى أكثر شؤون البيت بدعوى أنها تدربنى على تحمل مسؤوليات العائلة الكبيرة فهى تنتظر منى أن ألد لهـا على الاقل سبعة أطفال لأنها حرمت هى هذا العدد الهائل ولم تنجب الا ولدين اثنين تعتبر ان زوجـى هو المعول عليه فى كل شىء أكثـر من غيره حتى فى ملء البيت أطفالا يحملون اسم العائلة ويتسلمون المشعل .

ومنذ مدة سقطت حماتى صريعة المرض ولزمت الفراش تصورى يا سيدتى ذلك تصورى أننى أسهر الى ساعة متأخرة من الليل لاعداد طعام الغد لكامل أفراد العائلة وأحفظه فى الثلاجة ! تصورى وانا أشرف على طلبـات السيـد حمي والسيد أخي زوجي وأقوم بـدور الممرضة لحماتي المسكينة التي تبرح بها آلام المفاصل ! لقد سلمت ابنتى الصغيرة بعد مرض حماتى الى عناية أمى وتمزقت أنا بين البيتين قلبى تقطعه سكاكين الظلم والأسى ويتقاطر دمه بينما تظن حماتى أنى أتسلى وأفرح بكلماتها المجاملة وأنا أقوم على خدمتها اذ تقول لـى :

ـ لقد عرفت من أختار زوجة لابنى العزيز فانت يا فتاتى كاملة ويحسدنى الناس عليك : جميلة تنجبين لنـا أجمـل الاولاد وستحسنين تربيتهم لانك مثقفة ، وموظفـة تكسبين فتنفقين على نفسك وعلى أولادك ولا تكلفين ابنـى مشقة التفكير فـى هذا الموضوع وهو غائب فيعمل هنـاك هانئا مطمئنـا ،، أخلاقك حسنة تبادلين أهـل زوجك المحبـة والتعاطف ،، اعتبرتـك بنتـى واعتبرتنى أمك ،، انا لم أنجب بنتـا ويا طالما تحدثت مع ابنى وحثثته علـى الزواج لكى أكسب امرأته بنتا لى ترعانى وتخدمنى وقت العجز والمـرض ،،

وها أن أحلامي تحققت وما رتبته العائلة وفكرت فيه حين اخترناك كان صوابا لا خطـــأ .

نعم .. هكذا تتكلم حماتي دون أن تحس بهول ما تقول ولا ببشاعة ما وافق عليه ابنها ورتبه معها قبل أن أعرفه وأصبح أما لأولاده.. يا للهول! يا للغرابة فكروا في مصالح الجميع وسعـادة الجميـع الا مصلحتي وسعادتي !! اذن لم يتزوجني هذا الرجل لنفسه بل لأبويه : يجدون مني الأنس والخدمة وانجاب الاطفال لتسليتهم واعطائهم فرحـة امتداد الذات وتعميـر البيت . ومع ذلـك أعيش أنا الوحدة الروحية وأضيع أحلـى سنوات عمري في الجفاف العاطفـي وأضيع وقتي في خدمـة أناس غرباء عني وأضيع طموحـي في أن أزداد علمـا وأصبح يوما ما محامية ؟ هل انتقلت من خدمة اخوتي في بيت أبي الى خدمـة الغرباء في بيت زوجي هل لهـذا خلقت ؟ هل لهذا تتزوج النساء واكبـر قيد وأخطر قيد هيأه لي هو هذا الانجاب السريع المتوالـي للاطفـال ،، أحب أن أصرخ تسقط الأمومة ! يسقط الزواج ! ويسقط الرجال !

وخفت على محدثتي الانفعال الشديد وهـي حامل متعبة وجائعـة ، لقـد خرجت توا من الادارة بعد عمل نصف يـوم واستعظمت حقيقة ظلم الرجـال للنساء وقساوة الظروف العاطفية التي تعيش فيها هذه البريئة الجميلة الطيبة الشابة الطموحـة الى الحب والعلم والمستقبـل الأفضل ،، ولكنـي في نفس الوقت ضحكت لأني تذكرت أن هناك من تقضي العمر بحثا عن زوج فلا تجده وان وجدت الزوج فلا تجـد البيت وان وجدت البيت فقد لا يأتي الأطفـال . وصاحبتي وجدت الكل ولكن مشاكلها من نوع آخر ،، ولم اخف عنها أفكاري هذه عندما سألتني : كيف أضحك بعد ان سمعت منها ما سمعت ؟

واسعفتنا الظروف بمرور سيارة اجرة خالية فأشرت اليها بالتوقف لقـد كان طريقنا واحدا فركبنا وطلبت من رفيقتي ان تسكت فلا يصح طرح الهموم أمـام سائق التاكسي (لعله كان منتشيا بقصـة أخرى مغـايرة سمعها قبـل ركوبنا) .

وقلت لهـا :

ـ لقد أنصت اليك كثيرا فأنصتي الى قليلا .

وصرت أهمس اليها مختصرة اجابتي ، فالطريق قد قصرت مع التاكسي .

ـ اسمعي يا بنتي ان كثر عليك التفكير بأنك مظلومة وان الناس يسيئون اليك فلا تحزني بل افرحي لانك لم تظلمي أحـدا أو لم تسيئي الى أحـد اذ انت تمنحين السعادة والفرح والعون لمن يحتاجون اليه .

وفى انتظار ان تحلى مشاكلك واحدة واحدة بكل صبر وتعقل وبعد نظر حافظى على كنوزك ولا تفرطى فيها بكثرة الأسى حتى لا تندمى : صحتك ، وعقلك ، وأخلاقك ، وأولادك ، وطموحك .

ـ وفتحت فاها وعينيها لتقول شيئا ولكنى لم أسمح لها بمقاطعتى وواصلت :

ـ ثم اذكرى ان كل شىء قابل للتغيير والتطور من سىء الى حسن ومن حسن الى أحسن حتى أفكار زوجك واسلوب حياته . وفى انتظار ذلك عودى الى ما أعرفه عنك من حب للعلم وعشق لفن الدفاع فلقد صرت مجربة ولا بد ان يلح عليك اكثر حب الانتصار الى الحق .

وهنا صاحت فقد ضاقت بالصمت :

ـ نسيت أن أخبرك خبرا عظيما يفرحك : لقد حصلت بعد تكرار السنوات على شهادة الباكالوريا وصحت أكثر منها :

ـ عظيم عظيم جدا هذا أجمل خبر سمعته منذ أيام ،، مبروك عليك الروب الاسود يا حضرة الدفاع .

وضحكت وكأنها تبكى .

ـ ولكنى لا أعرف متى سأبدأ ومتى سأظل ، لقد عاقنى الزواج والانجاب والتعب النفسى على الانخراط فى الجامعة .

ـ لا يهم ،، الوقت طويل يا عزيزتى كاف للوصول ،، المهم الآن أن تحافظى على أجمل كنوزك طموحك العالى .

وما زلت أقبلها وأهنئها منتشية بالخبر حتى التفت الينا سائق التاكسى مذهولا كأنه خاف من لوثة جنون أصابت احدى هذين المرأتين ثم قال :

ـ لقد وصلنا والسيارة واقفة منذ لحظات وغيركما من الركاب فى الانتظار .

ونزلنا واتخذت كل منا وجهتها ولست ادرى ما كان يدور بعد ذلك فى خلد صاحبتى ولكن الذى كان يدور فى ذاتى هو ان القاها بعد سنوات بهيئة أخرى مختلفة تماما .. تماما .

فاطمة سليم
الزهراء خريف 1979

الفلسفة والعلوم وخدمتها لتكنولوجيا العصر

بقلم : د . محسن العبادي

تمتاز الفلسفة برعاية فائقة فى برامجنا التعليمية ذلك أنها من أمهات العلوم الانسانية وفى مقدمتها لانها رياضة عقلية ومنطقية ؛ وما احوجنا اليوم الى مثل هذه الرياضة التى تنمى مادة العقل والحكمة والتبصر فى عصرنا الحاضر عصر وضوح المعلومات وتبسيطها وادخال الحرف اليدوية التجريبية فى تكنولوجيا العصر الحديث ...

... ففى الماضى كان الفلاسفة يعيشون فى أبراجهم العاجية وعلى نظرياتهم الماورائية الغيبية الا ان اليوم تغيرت هذه النظرة فجعل الفلاسفة« الانسان » محور دراستهم وبذلك ربطوا التعليم بالاقتصاد وتكنولوجيا العصر وتطورها ؛ فخذ مثلا بلدا « **كالدنمارك** » فقير الموارد الزراعية والمنجمية اذا ما قيس بالبلدان المجاورة له فهذا البلد الصغير وضع خططا اقتصادية واعتنى بتربية الأبقار ذات الفصيلة المنتجة للألبان بكميات وافرة ؛ وجودة هائلة .

ووضع المصلحون السياسيون والفلاسفة الاجتماعيون خططا فى ربط التعليم بالاقتصاد القومى وذلك بتركيز الورش الصناعية بجانب المدارس وذلك حتى تكون المدرسة مطلة على محيطها الذى يدر عليها الأرباح المادية الباهضة فهذا البلد أى « **الدنمارك** » على الرغم من رقعة مساحته الضيقة استبدل المساحات المزروعة بمشاريع تربية الأبقار واستيراد كمية من العلف المركز من البلدان المجاورة ، وتنظيم موارد لتربية البقر الحلوب .

وبذلك أصبح هذا البلد منذ الخمسينات من أكبر البلدان المصدرة لمادة الجبنة والحليب المجفف الى العالم كله ...

وقس على ذلك تجربة « **الولايات المتحدة الامريكية** » فى زراعة الحبوب وتصنيف فصائلها وذلك باعتمادها على العلم فى الزراعة فى الاصناف ألتى تنتج أكبر وأوفر كمية . ونفس الشيء بالنسبة لمشاريع تربية الاسماك وزراعتها فى أحواض اصطناعية .

وقس على ذلك أيضا تجربة « **اليابان** » التى أصبحت تغزو العالم لا بانتاجها الزراعى ولكن بادخال الخبرة اليدوية فى صناعة الاليكترونات المختلفة الاشكال وجعلت من تكوين الرجال فى الورش هدفا لاستغلال العلم فى الحياة اليومية وقس على ذلك فرنسا وبقية الاقطار الاوربية ...

هذه المنتوجات والاكتشافات لا تأتينا من الانسان الجائع المحتاج فهى تأتى ممن كان فى راحة كاملة ونفس مستريحة يريد الخلق والابتكار وقديما قيل : « العقل السليم فى الجسم السليم » لان التفكير فى مثل هذه المشاريع العلمية لا يكون بعيدا كل البعد عن الهزات النفسية فهو محتاج الى الراحة العقلية الكاملة والنظرة الشاملة والصفاء من تمييز الخير من الشر ... **واذا اشتكى عضو من الجسم** من قلة الغذاء **مثلا اشتكى الجسم كله وبذلك نستنتج ان معركة العصر هى** معركة « الطعام لكل فم » .

... **وهذا هو** أساس الصراع بين بنى البشر فى عصرنا **الحاضر عصر الخبرات** وسبل توفيرها للشعوب بالوسائل العلمية على **الرغم من طبيعة** التنافس والصراع الطبقى والوظيفى عند البشرية قاطبة .

من هذه البساطة فى التفكير جاءت الفلسفة فى العصر الحديث متقاربة من علم النفس وعلم الاجتماع والآداب الانسانية وذلك لاحتفال الفلسفة بالكثير من التيارات المذهبية والاديولوجية ... لان هذا العصر يخضع للعلوم الصحيحة والاقيسة المنطقية ونتج عن ذلك ظهور النزعة « الوجودية » والنزعة « الاشتراكية » والنزعة « المنطقية » ونرى فى أوائل القرن التاسع عشر الاعتناء بالعلوم والتخلى كلية عن الفلسفة ...

والملاحظ : ان بعض المعاصرين من الفلاسفة سلكوا مسلك التعقيل والغموض وهم مطبوعون على مذهب التخصص : (Spécialisation) فجاءت مؤلفاتهم غامضة مثل « سارتر » و « هيدجر » وغيرهم تذكرنا كتاباتهم بمؤلفات المنهج المدرسى الذى حدث فى القرن الخامس عشر ... ونتج عن هذا التيار رد فعل فحاول الكثيرون تبسيط القضايا وتذليلها خاصة النواحى الميتافيزيقية الغيبية ونزلوا بها الى مستوى الجمهور واذاعة أفكارهم بين يدى

الجمهور حتى قربت الفلسفة من الادب وظهرت بذلك «روايات» و «مسرحيات» تعبر عن النزعة الفلسفية حتى أصبح بعض الفلاسفة يؤلفون « للمسـرح » ويكتبون « للسنيما » و « التلفزيون » وينشرون أقاصيصهم بين الناس فى أشكال قصص « درامية » أو « كوميدية » أو « تراجيدية » وأصبح الأدب والفلسفة يخوضان نفس المشاكل سواء بسواء . وبذلك كثر الانتاج الفلسفى فى العالم حتى انه ذكر فى القائمة السنوية التى اصدرها المعهد العالى للفلسفة خلال سنة 1938 أن الكتب الفلسفية التى ظهرت فى ذلك العام قد زادت عن سبعة عشرة ألف كتاب ! وهذا الانتاج الضخم إن دل على شىء فانما يدل على ان المشكلات الفلسفية قد تزايدت بما لم يسبق لها نظير ، كمـا ان الـوعى البشرى نفسه أصبح أقدر على فهم الفلسفة فى صميم الحضارة الحديثة .

وقد لا نغالى اذا قلنا ان العصر الحديث هو من أخصب العصور الفلسفيـة وأغناها كما شهد بذلك المنزلة الهائلة التى تشغلها الدراسات الفلسفية فى معظم جامعات العالم .

★ المؤتمرات الفلسفية وتقارب العلوم فى العصر الحديث :

لقد جمعت المؤتمرات الفلسفية العديد من علماء العصر ... وهذا التقارب بين المفكرين واتصالهم اتصالا مباشرا كان عن طريق المؤتمرات الفلسفية ، والتبادل الثقافى وتنظيم العلاقات بين الجامعـات المتعـددة فى « الشـرق » و « الغـرب » معا وقد شهد مطلع القرن العشرين عـدة مؤتمـرات فلسفيـة متوالية استطاعت أن تقرب بين المفكرين فى مختلف النزعات ، مما عمل على تحقيق ضرب من « التواصل الروحى » بين النزعات والعقليات الفلسفيـة المتبـاينة (١) .

وما زالت المؤتمرات الفلسفية والندوات الثقافية والمساجلات الفكرية التى تطرحها الصحف والمجلات تعمل عملها فى التقارب بين النزعات المتعارضة ، والتيارات المتصارعة والاتجاهات المتباينة ، وبعد ان كان الفلاسفة يعيشون فى عزلة أو شبه عزلة أصبحنا نرى اليوم أن المشتغلين بالدراسات الفلسفية

---

(١) عقد فى مونتريال « بالكندا » فى 3 سبتمبر سنة 1971 أحـدث مؤتمـر فلسفى عالمى موضوعه مناقشة « التواصل » بين المفكـرين فى العصـر الحـديث .

والنفسية والاجتماعية لم يعودوا يجدون حرجا فى ان يتدارسوا المشكلات بروح رياضية متعاونين لاسعاد البشرية كلها اذ لكل واحد مجهوده الخاص باعتبار ثقافته التى ينتمى اليها هذه الثقافة التى هى ملك مشاع لجميع المفكرين فلا يمكن قفل حدودها فى جزيرة مغلقة ، فالمعارف الادبية والفنون وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجمال وعلم الاقتصاد والعلوم التقنية كل هذه محاور الدراسة العقلية وتقوم بين هذه التخصصات رابطة مودة واخاء وتفاهم ...

ولا شك ان قيام المجلات العالمية والدوريات الدولية قد أدى الى امتزاج الحضارات المختلفة ، فلم يعد من النادر أن نجد مجلة بحوث فلسفية أو علمية أو تقنية لمفكرين مختلفى الثقافات والمعارف ذوى جنسيات متباينة ولغات مختلفة وعقليات علمية تبحث بروح ملؤها « اتخاذ المنهج العلمى فى الدراسة والبحث أساسا للحقيقة العلمية » التى يقرها جميع أصناف المفكرين على مختلف أجناسهم . وألوانهم وأقطار أصقاعهم ...

والفلاسفة والمفكرون أصبحوا يجدون أشياعا لمذاهبهم خارج بلدانهم الاصلية وهذا كما حدث « للوجودية » فى فرنسا على الرغم من وجودها فى « أوربا » اذ أصبح اليوم لها انصار فى انجلترا وأمريكا وأصبح لها اصدقاؤها حتى عند المفكرين العرب .

★ علاقة العلم بالفلسفة :

هكذا نرى علاقة روحية بين العلم والفلسفة ، فالعالم يعيش فى المخبر يكتشف المادة والذرة وغيرها من العناصر الموجودة فى الطبيعة ، أو التى يقوم بتحضيرها ...

بينما الفيلسوف يبتدىء ، بما انتهى اليه العالم فيبين أن هذه المخترعات والاكتشافات صالحة لتستعملها البشرية فى حياتها اليومية لكى تعود بالنفع والخير لصالحها وبذلك يحث الفيلسوف على انتاجها للانتفاع بها للصالح العام ... واذا كانت تعود بالضرر فلا فائدة فى استعمالها ويحذر البشرية منها وهذا كاختراع الذرة التى هى ذات حدين : اما الانتفاع بها فى الاغراض السلمية أو لتخريب العالم بها فى الاغراض الحربية . وقد مثل الفيلسوف

« روسل » فى انجلترا فيلسوف السلام وعمل على استخدام الذرة فى سعادة البشرية والترفيه عنها فى جميع مجالات الاكتشافات والاختراعات، ومساندته للتقنيات الحديثة والمخترعات العلمية التى وصل اليها الانسان .

... حقا لقد وصل الانسان بفكره الثاقب الى مخترعات لم يصل اليها أى حيوان على وجه الارض فقد غزا الفضاء ووصل الى القمر وسار عليه بقدميه ؛ فهل يستطيع الانسان بذلك أن يتخلص من مشاكله على وجه الارض ... التى تعطيه الدفء والحنان ...

حقاً ما أحوجنا اليوم الى فلاسفة معاصرين يقفون ضد التجارب النووية والسباق نحو التسلح ويعملون على ازالة التلوث فى البر والبحر حتى يصبح العالم جنة حياتنا نحمل فيها رايات الصفاء والمودة والاخاء والمساواة . ولا مجال لانبتات الانسان عن وطنه الذى تربى فيه بين أهله وعشيرته وهذا هو ما ينادى به كل المفكرين وفى مقدمتهم الفلاسفة المعاصرون الذين نزلوا من ابراجهم العاجية الى الانسان واتخذوه محور دراستهم .

لهذا السبب أردت أن أشغل نفسى بالكتابة فى هذا الموضوع موضوع « الفلسفة وخدماتها لتكنولوجيا العصر الحديث » وقد ربطت بذلك بين العلم والفلسفة وتحدثت فى ذلك بلغة « العصر » لغة البساطة والسهولة ولغة الحياة اليومية التى أقرها الفلاسفة المعاصرون فى مؤتمراتهم .

الدكتور محسن العيادى

من دوي الذاكرة

شعر: حميده الصويلي

دوار يحاصرني صمتُ هذي المدينه
تخضّب وَجْعِي باسمدةِ الوعي
فانتفضي يا ممراتُها
ذا زمانُ الضغينه
تململَ كلّ جدار
والسنةُ للفوانيس تتلو
نشيدَ العوانس طولَ الليالي
واقرأ في جنبات الرصيفِ جذورَ انشغالي
حشودَ الضحايا
يؤلّبها في زمان التأسّي
اغترابٌ
ويدفعها للتخفّي نذيرٌ مريبٌ
وتزهرُ آلاميَ الموثقاتُ بحضني
فكانَ التفجعُ ... كان التوجّعُ ...
حدّ التغني
مبعثرة هذه الكُتَلُ الوتريه
وتنخرها في فضاء العيوبِ
فضائلها الوطنيه
أعدُّ — وذاكرتي قد تملُّ —

بذاءاتـــهـم
فالزمـان سموم .. وايامنا جاهليهْ
وأُخفي الذي لا أراهْ
فقد تصبحُ الارض اوعية للقَذى
ومواخيرَ مجد تفوح بـلاءْ
لقد أوصد الباب في وجــه
من لا يـرومُ بغاءْ
واصواتُهم تعزفُ الآن اغنية للحميهْ
واغنية الشرفِ الهمجيِ المعتَّـقِ
بالذلّ واللاكرامــهْ
واكبرهـــم في الدعـارةِ
يرسم خطاته لاحتواء الإمــامـهْ
أتعرفُ يـا ايتهـا الراكبُ العسف
انّ التحرك فوق الترابِ .. كرامهْ ؟
أدُلُّـك عما تريدُ .. ولـكنْ تمهـلْ
فان المغولَ يفحون في كل وجــه ..
وازلامهم يزرعون التمنّي
هو الوطنُ التعِبُ الآن يقفو خطـايـا
فما أوقَفَ الهجمات التغنّـي
مصيرٌ تلوّثَ ... اتربةٌ لم تطـأْهـا
عـدا اللعنـاتْ
فقولي لاشبــاه ابطالنا :
« إنّ يـوما جديــدا
يعدل دورةَ هذي الحيــاة ».

حميده الصولي

الأسس الاختبارية في نظرية المعرفة عند ابن خلدون

بقلم: د. عبد السلام المسدي

ـ 2 ـ (*)

ولكن قد يتعذر على الباحث استكناه الطابع الاختباري عبر النظرية اللسانية عند ابن خلدون إن هو لم ينزلها منزلتها من المستندات الاصولية التى احتكم اليها خطه الفكرى ، فلنعرض لها فى تلميح واقتضاب يغنيان أهل الذكر عن تفصيلها ، وقد يستحثان الفكر الى استكمال النمط الاستدلالى من مواقع الاختصاص الاخرى .

وأول ما يتراءى لنا من هذه الركائز الاصولية والكليات المنهجية هو اعتماد **المفهوم البيولوجى** ، ونعنى به احتكام ابن خلدون الى بعد المادة فى ظواهر الوجود عامة وظواهر الحياة الانسانية على وجه مخصوص ، وليس لهذا الاستناد ـ فى تقديرنا ـ ما خيل لبعضهم من نزعة مادية بالمعنى الذى يبوىء للمادة منزلة الحكم المفسر لعوارض الوجود ، والذى تنتفى معه سلطة ما وراء المادة سواء فى تحريك السلوك ، أو تفسير العقل للسلوك ، ولم يكن ذلك من بعض هؤلاء الباحثين الا اسقاطا مرآويا سببه جموح القراءة المسلطة على الحدث بما تأخر نشوؤه فى الزمن عن الحدث نفسه ، ولسنا نتهم منهجا ما فى البحث ولا ندين رؤية مخصوصة فى تأويل الميراث الفكرى ، وانما مقصدنا أن يتوضح خط الفصل بين الاستنطاق الرأسى الهادف الى اعادة كشف النص الفكرى ، والتأويل الصادر عن توظيف القراءة توظيفا فكريا أو عقائديا .

فالمقوم البيولوجى قد كان مستندا اختباريا تعامل معه ابن خلدون تعامل المخبرى مع لوحات التشريح لان حيرته القصوى تركزت على تحويل التخمين الى مشاهدة عينية بغية ارساء قواعد التصور التجريبى ، لذلك كان مفهوم التجربة أو المعاينة ذا مرتبة غالبة فى تفكير واضع علم العمران ، ولا نكاد

(*) تابع لما نشر بالفكر : ع 8 / س 25 / ماى 1980 .

نتردد فى أن ثمرة هذا المقوم البيولوجى قد تجسمت فى ايقافه ابن خلدون على قانون جوهرى له من العمق والشمول ما للكليات أحيانا ، ألا وهو **قانون الحاجة** ولو أخذت الفكر الخلدونى فى مظهره الاستقرائى لوجدته نسيجا متظافرا : لحمته اقتضاء الحاجة فى الوجود ، وسداه ارضاء الحاجة بغية الوجود ، وبين تحتم الحاجة وتعين سدها يتراءى نموذج الحياة الفردية والجماعية وهو ما يجيز لنا القول بأن قانون الحاجة هو المحصلة الفيزيائية لقوتين ضاغطتين : قوة الاقتضاء الخارجى وقوة النزوع الداخلى ، فالاولى تستجمع الحاجة المتسلطة على الانسان بوصفها تحديا لوجوده ، والثانية تشكل مسعى الانسان الى الاستجابة الطبيعية .

فالذى نعنيه بقانون الحاجة هو هذا التركع الذى عليه الانسان مدة وجوده بين ضغط الحاجة ودافع ارضائها ، وهذا القانون فى تقديرنا هو الرسم البيانى المفسر للوجود الانسانى من خلال بعده البيولوجى وذلك حسب تصوير ابن خلدون طبعا .

ومن رام استغراق هذا القانون فى صلب المقدمة واماطة اللثام عن المقوم البيولوجى فى التفكير العمرانى توصل بيسر الى فهم هذا الناموس المبدئى اذ فى حوضه يتنزل تفسير ابن خلدون لغريزة حب البقاء ، ولضرورة دوام النوع ، فأما الاولى فهى ظاهرة فردية وأما الثانية فهى ظاهرة جماعية صدرت عن الاولى لان فى سعى الفرد الى البقاء تعزيزا لمسعى الجماعة الى الوجود .

وهكذا يتسنى للباحث لو رام استنزاف عناصر الموضوع بالبحث الكاشف والدرس الناقد أن يستنبط ملامح التنضيد على سلم الاقتضاء البيولوجى اذ هو واجد درجة أولى من درجات ناموس الحاجة هى درجة الاقتضاء الغذائى ، ودرجة ثانية هى ضرورة الاحتماء الطبيعى فى الملبس والمسكن واتقاء الموجودات المتسلطة عليه بالافتراس ، ودرجة ثالثة هى حاجة التآزر البشرى لان فى تعاون الفرد مع الافراد ما يعينهم على سد كل حاجاتهم وأكثر ، وفى عزلة الفرد عن الافراد قصوره عن سد أدنى ضروراته كما سنبينه فى موطن آخر ولغاية أخرى .

فاذا استقام تفسير هذه الظواهر طبقا لقانون الحاجة من حيث هو تركع بين طاقتين متجاذبتين تسنى بالمجادلة والاستنباط تنزيل فكرة الوازع فى نفس المساق الفكرى وتبين اندراج صورته ضمن تولد سد الحاجة نفسها . وليس

يعزب عندئذ أن نكشف عن هوية قانون العصبية فليس هو ـ فى تقديرنا ـ إلا نموذجا أقصى لهذا المقوم الاول من مقومات الاصول المبدئية ، بـل ليس اكتشاف ابن خلدون لقانون العصبية الا ثمرة لتصوره الاختبارى ، أمـا من حيث المنطلق الفكرى فان التآزر العصبى هو تماما جنيس عمليات متآخية، هو جنيس تناول الانسان للثريد خوفا من الفناء ، وارتدائه لما يقيه قر البرد أو حر القيظ ولجوئه الى ما يحميه من حيوان لادغ أو مفترس وتكاتفه مع أفـراد مجتمعه لتحصيل تلك العناصر نفسها لقمة ورداء وملجأ ، وهكذا يتنزل التفكير السياسى فى صلب البعد البيولوجي فيأتى من هذا التنزل مظهر جديـد من مظاهر علم التاريخ على يد ابن خلدون .

* * *

أما المستند الأصولي الثاني ضمن الكليات المنهجية فى منظومة ابن خلدون فهو **البعد العقلاني** ـ بالمعنـى المنهجـي قبـل المعنى المتحمض الى التفسير الفلسفي ـ ولا ريب أن الثمرة الكلية ضمن نظرية ابن خلدون فى هذا المقام قد جاءت حصيلة ثمار فرعية من أهمها الاحتكام الى الناموس المعقلن للوجود بعد ناموس الحاجة المحركة للوجود ، ويتبلور هذا البعد حسب زوايا تقديرية متنوعة ، منها مبدأ اقتران كل معرفة بعملية التجريد لانه الملكة المجسمة لعقلنة الظواهر فى نشوئها ووجودها وانسلاخاتها ، فالتجريد قبض على عنـان التجـربة وبالتـالى تمحيص للمتصورات انطلاقا من وقائعها المحسوسة أو مظاهرها المعاينة فطبيعى أن تكون التجربة أساسا لكل معرفة مثلما أن أساس كل معرفة إنما هو استنباط المجرد من المحسوس .

إن استكناه ناموس التجريد من حيث هو الطاقة المعقلنة للظواهر قد مثل حيرة منهجية قصوى لدى ابن خلدون الى الحد الذى استحال معه أسا أصوليا « ذلك أن الاصل فى الادراك ـ حسب عبارة ابن خلدون نفسه ـ انمـا هو المحسوسات بالحواس الخمس ، وجميع الحيوانات مشتركة فى هذا الادراك من الناطق وغيره ، وانما يتميز الانسان عنها بادراك الكليـات وهى مجـردة من المحسوسات » (II) وهذا ما يسميه ابن خلدون «سعى الفكر » الذى غايته

(II) المقدمة ـ 489 .

فى الحقيقة راجعة الى التصور لأن فائدة ذلك اذا حصل إنما هى معرفة حقائق الاشياء التى هى مقتضى العلم » (I2) .

على أن روح الاختبارية فى أصولية ابن خلدون ، مما صادرنا عليه ابتداء ، هى التى وقت صاحبها من جموح العقلانية المجردة ، فلم يذهب هذا المنهج بصاحبه الى حد اسقاط التصورات التجريدية على الوقائع الحادثة ، ولا الى حد اعتماد القوالب الماقبلية فى صياغة النواميس المحركة للظواهر ، بل إن الخط الاختبارى قد حتم الاستناد الى مبدئين منهجيين : أولها القول بأن مسيرة الاحداث ليست عشوائية ولا هى تعسفية مطلقا ، وانما تحكمها ضوابط داخلية تمثل منطق انتظامها فى الوجود ، وثانيهما التسليم بأن العقل قادر على اشتقاق قوانين الظواهر من ذات الظواهر ، وذلك بانتزاعها عبر التجريد بعد المعاينة .

فكل حادث اذن معقول ، أى ليس من الظواهر ما ينقض مبدأ العلية فى التواجد ، فكل حدث حامل لدلالته فى ذاته بمعنى أنه يحوى فى صلبه نظامه التركيبى ، ثم ان كل معقول لا بد أنه يتعقلن اذ ليس من ظاهرة حادثة الا والعقل متوصل الى كشف بنائها التكوينى القابع وراء تجلياتها (I3) .

(I2) المقدمة ــ 490 .
ويصور ابن خلدون عملية التجريد فى وصف دقيق اذ يقول فى معرض حديثه عن علم المنطق (ص 5I4) : « وضعوا قانونا يهتدى به العقل فى نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق ، ومحصل ذلك ان النظر الذى يفيد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن فى المعانى المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها أولا صور منطبقة على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التى ترسمها فى طين أو شمع ، وهذه مجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ، ثم تجرد من تلك المعانى الكلية اذا كانت مشتركة مع معان أخرى وهى التى اشتركت بها ، ثم تجرد ثانيا ان شاركها غيرها ، وثالثا الى ان ينتهى التجريد الى المعانى البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعانى والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهى الاجناس العالية وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هى من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثوانى » .
(I3) للدكتور محمد عابد الجابرى اشارات دقيقة فى صميم ما نحن بصدده

فمن موقع هذا البعد الاختباری ، وعلى أساس الايمان بقدرة العقل على عقل المعقولات ، أو قل بتعبيراتنا المتولدة عن التصور الفلسفی الحديث ، على أساس الايمان بقدرة الانسان على عقلنة الموجودات ، انبرى ابن خلدون ينقد منهج المؤرخين قبل أن يؤسس ضوابط العلم تأسيسا متفردا ، فعرف العلم بشرائطه ، فذكر المعارف المتنوعة وحسن النظر والتثبت ، ثم استطرد الى بيان مصادر الزلل ومسببات الطعن فی فن التاريخ فاذا هو يجیء بقواعد المنهج العقلانی ليتخذه حكما على النقل وفيصلا فی أمر الاخبار (14) .

ويعود ابن خلدون الى هذا المعيار العقلانی بعد أن نضجت مقوماته خلال بسطه لموضوع علمه ، فيستدل بالخلف على هذا البعد الاختباری ويوضح الشیء بضده اذ يستشير الى مصادر الكذب فی أخبار المؤرخين قائلا : « ومن الاسباب المقتضية له أيضا ، وهی سابقة على جميع ما تقدم ، الجهل بطبائع الاحوال فی العمران فان لكل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لا بد له من طبيعة تخصه فی ذاته وفيما يعرض له من أحواله ، فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال فی الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك فی تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب ، وهذا أبلغ فی التمحيص من كل وجه » (15) .

وهكذا يفضی هذا المنهج بابن خلدون الى سن قانونه المبدئی الذی يتبوأ منزلة المقوم الاصولی لانه يأخذ مسلك الكليات المطلقة ونعنی بذلك **قانون المطابقة** باعتباره الثمرة الاختبارية القصوى فی منهج الاحتكام الى العقل والايمان بطاقة تجريد المعقول من مظان الوقائع والاحداث ، ولم يكن شیء مما نستنبطه اليوم بخفی عن وعی ابن خلدون ، اذ نراه بصريح الادراك منظرا

وان اختلفت بيننا الرؤية التی نصدر عنها . راجع مقاله المذكور أعلاه (ص 8 — 38 — 39 — 58) .

(14) يقول صاحب المقدمة معللا منطلقاته : « لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال فی الاجتماع الانسانی ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأيمة النقل من المغالط فی الحكايات والوقائع لاعتمادهم على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طابع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فی الاخبار » ص 9 .

(15) المقدمة — ص 35 — 36 .

لقانون يلتمس به الوجه البرهاني على حد اصطلاحاته بنفسه : « وأما الاخبار عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه ، وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه اذ فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط ، وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة ، واذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وتمييز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضا لا يعتديه وما لا يمكن ان يعرض له ، واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه » (16) .

فقانون المطابقة اذا أدرجناه ضمن المنحى الاختباري في الاصولية الخلدونية وجدناه بالنسبة الى البعد العقلاني جنيس قانون الحاجة في البعد البيولوجي .

على ان كلا البعدين قد تفاعلا عضويا في جدلية التفكير الخلدوني ، وبتفاعلهما تصاهر كلا القانونين المنبثقين عنهما : قانون الحاجة وقانون المطابقة ، فاذا بالثمرة الاصولية تأتي تلقائيا ، ألا وهي تولد علم العمران انطلاقا من نقد علم التاريخ . ومن الطبيعي ان يتفرد ابن خلدون بانجاز هذا العبور الاصولي اذ في نقد العلم توليد للعلم ، وبالتالي فانه بقانون المطابقة قد اخصب المعرفة المتصلة بقانون الحاجة .

ولم يرد كل ذلك عفوا ولا ارتجالا ، كما لم يرد اشتقاقنا لانتظامه التصاعدي تعسفا ولا جموحا ، وانما صاحب العلم ـ من حيث هو واضعه وضابط قواعده ـ قد وعى انجازه المعرفي واستوعبه أصوليا ، وهذا ما جوز لنا الحكم بأن الروح الاختباري لدى صاحب المقدمة هو روح توليدي على صعيد المعارف كليا .

ورشيق هو النص الذي يصور فيه ابن خلدون وعيه بمكابدة وضع العلم الاجتماعي وانشاء المعرفة العمرانية (17) ، وأكثر منه رشاقة ما حبره وهو

---

(16) المقدمة ـ ص 37 ـ 38 .

(17) يقول : واعلم ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة ، أعثر عليه البحث وأدى اليه الغوص ، وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور الى رأي أو صدهم عنه ولا هو أيضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحصل الجمهور على منهاج

يتحرى التوسط بين وضع العلم ونقده ، اذ كان حريصا على تخليص مادة العلم من مضمون علم العلم ، وفى هذا السعى اجراء لحط الفصل بين محتوى المعادلة المعرفية الاولى ومحتوى المعادلة من الدرجة الثانية كما وضحنا آنفا ، ولابن خلدون تحرز يتوجس فيه الخلط ، اذ ليس من منظورات صاحب العلم اثبات موضوع علمه ، فان هو سعى ذلك السعى فان فى ذلك خروجا من « العالم » الى « الأصولى » ولهذه الاسباب المبدئية تحرى ابن خلدون ابراز حواجز الفصل ، وهو يتركح على قطبين معرفيين لانه كان فى منزلة نوعية : كان عالما ، وناقدا لأصول علمه ، ثم واضعا لعلم جديد ، فكان حريا به أن يقول : « .. فاذن هذا الاجتماع ضرورى للنوع الانسانى ،والاليكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم ، وهذا هو معنى العمران الذى جعلناه موضوعا لهذا العلم ، وفى هذا الكلام نوع اثبات للموضوع فى فنه الذى هو موضوع له ، وان لم يكن واجبا على صاحب الفن ، لما تقرر فى الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم إثبات الموضوع فى ذلك العلم ، فليس أيضا من الممنوعات عندهم ، فيكون اثباته من التبرعات ، والله الموفق بفضله » (I8) .

* * *

واذ قد تجلى تناسج المقوم البيولوجى والمقوم العقلانى بما أثمر لوحة التشريح الاختبارى فان بعدا ثالثا قد جاء يعززهما ليستكمل واياهما حقيقة السند الأصولى فى تفكير عبد الرحمان ابن خلدون . ويتجسم هذا البعد الثالث فى التشكيل الصورى المرتبط باستتباع حقائق الظواهر فى رسمها البيانى الذى ينصاع للصياغة التشكيلية ولذا فقد لا نجازف إن أسميناه بالبعد الرياضى باعتباره أسا منطقيا جدليا يتخذ صورة القوانين المجردة فى شكل المعادلة البرهانية ، ومن البديهى ان التشكيل الرياضى ، على صعيد المعارف ،

يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين ربما يشبهانه وكأنه علم مستنبط النشأة . ولعمرى لم أقف على الكلام فى منحاه لأحد من الخليقة : ما أدرى ألغفلتهم عن ذلك ، وليس الظن بهم ، أو لعلهم كتبوا فى هذا الغرض واستوفوه ولم يصل الينا فالعلوم كثيرة والحكماء فى أمم النوع الانسانى متعددون وما لم يصل الينا من العلوم أكثر مما وصل » ص 38 .

(I8) المقدمة – ص 43 .

هو الصورة القصوى لكل تجريد ذهني وبالتالي فهو معيار ضبط الكليات التصورية قطعا .

ولسنا نزعم في هذا المضمار أننا نستوفي البحث في هذا المقوم ، فطبيعة الموضوع - اذا ما اتخذ غرضا مصرفيا لذاته - تستوجب استقصاء حديث ابن خلدون عن قطاع المعرفة الصحيحة من جهة وتتبع كل مراحل الصياغة البيانية ذات الطابع التشكيلي من جهة أخرى وهذا ما قد يفرغ له بالدرس والاستنباط ذوو المشرب المختص بالبحث في أصولية الفكر الرياضي . ولكننا لا نروم شيئا من ذلك ، وانما نقصد فحسب التلميح الى وجود ترابط برهاني ذي احتكام رياضي في صميم المنهج الاستدلالي لدى ابن خلدون بالذات ، فحيرتنا اذن منهجية أصولية أكثر مما هي استقصائية مختصة ، لاننا نراهن بوجود هذا المقوم الرياضي في حد ذاته كما نراهن بتفاعله العضوي مع البعدين الآخرين : البعد البيولوجي والبعد العقلاني .

ان أبرز ما يتسنى اشتقاقه من الفكر الخلدوني في هذا المقام بغية صوغه على المعيار الرياضي هو ارتكازه على مبدإ التناسب باعتباره ناموسا إجرائيا يفعل فعله في الحوادث والواقعات ، وباعتباره قانونا تجريديا يوفر للعقل لحظات من السيطرة على الظواهر في الوجود . ولمبدإ التناسب سلطان غريب في تفسير مقومات الحدث الانساني ، كما ان له نزوعا واضحا الى تخلل كل تجليات التواجد العمراني ، وقد أحكم ابن خلدون استغلاله الى مرتبة غدا معها أسا معرفيا نزعم أن له بموجب ذلك طاقة المقوم الأصولي العام ، فليس قانون التناسب مجرد تشكيل صوري ، ولا هو مجرد إسقاط ذهني ، وانما هو وقوف من ابن خلدون على حقيقة مزدوجة : قدمها الاولى في حقل الواقع المعيش ، وقدمها الثانية في حيز التصور المعرفي . ولكل تلك الاسباب اكتسى هذا القانون طابع الاختبارية مما ترتكز عليه نظرية ابن خلدون في المعرفة والادراك.

ولمبدإ التناسب صور يتجلى بها ، منها صورة المعادلة الجبرية التي تتحدد علاقة الطرفين فيها ، لا بالطرد ولا بالعكس ، وانما بالتكاثر والرجحان ، بمعنى ان التناسب الجبري وان انضوى في سلم التزايد المطرد فان أحد طرفيه يتفرد بتصاعد يختلف قدره عن نسبة التزايد في الطرف الآخر ، فتصبح النسبة المعقودة بين طرفي المعادلة هي نفسها متحركة اذ تتصاعد وفق رسم جبري مخصوص ، فيكون التناسب بين الطرفين هو ذاته مرفوعا الى قوة ما بحيث اذا كانت (س) تتضمن قيمة معينة هي (ق) ، فان دخول (س) في تعامل عددي تتضاعف فيه تبعا للعدد (أ) ينتج عنه أن (ق) تتضاعف عندئذ تضاعفا يجاوز حجم (أ) فيصبح مرفوعا الى القوة (ن) كما لو أن :

س ⟵ ق

أ (س) ⟵ ق × أ ن

هذا النموذج من التناسب نجده مفتاحا فى كشف ابن خلدون لحقيقة موضوع العمران ، لأنه العامل المفسر لضرورة الاجتماع الانسانى فى حد ذاته ، وصورة ذلك أن الاقتضاء البيولوجى يرضخ الانسان الى قانون الحاجة كما سبق أن بيناه ، وهذا القانون هو بمثابة التعادلية المستمرة يسعى اليها الانسان متركحا بين الحاجة وسد الحاجة ، أى بين تحدى طبيعته له واستجابته لذلك التحدى ، غير أن ارساء التعادلية متعذر اطلاقا على الانسان فى وجوده الفردى ، فهو اذن كائن متبدذ طالما تصورناه منعزلا ، ولكن اجتماع الفرد الى الفرد هو الذى يخلق التناسب الجبرى لان فى اجتماع الافراد حصولا لما يوفر حاجة هؤلاء الافراد وأكثر ، وهكذا كلما تظافر الافراد فى وجودهم العددى توصل محصولهم الى فوائض فى القيمة تتزايد تزايدا متصاعدا فى الحجم والنسبة .

هكذا يصبح الفرد مثال الطرف الاول فى المعادلة ، الذى هو (س) ومحصوله القيمى هو الطرف الثانى (ق) ، ويكون التضاعف العددى (أ) مقتضيا لتضاعف القيمة على نسق جبرى بحيث إن الفوائض تجسمها القوة (ن) التى ترفع اليها (أ) فى الطرف الثانى من المعادلة .

وهذا القانون منسحب على كل الظواهر فى الوجود الانسانى من المآكل الى الملبس ، ومن المسكن الواقى من عوارض الطبيعة الى المكمن الحامى من موجوداتها الضارية ، ومن رام تتبع هذا المبدإ التناسبى من حيث هو ناموس أصولى كفاه الرجوع الى مقدمات الباب الاول فى « العمران البشرى على الجملة » ولم يكن إطلاق ابن خلدون على ذلك لفظ « المقدمات » إلا صورة للوعى المعرفى ذى العمق الأصولى ، ولكن لو فتشنا عن نموذج هذا التشكيل الرياضى فى صلب هذا السياق لألفيناه جليا فى هذه الصياغة المقتطفة : « إن الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه (...) ويستحيل أن توفى بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف » (19) .

* * *

(19) المرجع ـ 41 ـ 42 .

ومن الصور التى يجىء عليها مبدأ التناسب فى تفكير ابن خلدون صورة المعادلة الهندسية ، حيث يقترن طرفاها بنسبة معقودة ترتكز على خاصية التوالد المطرد ، لأن هذا الضرب من الارتباط بين السبب والنتيجة تتظافر عليه مكونات التراكم الكمى الذى يتحول الى إفراز نوعى ، فيكون بين محصول الكم ومحصول الكيف اطراد فى القيمة يسدد التفاوت فى الحجم ، وهكذا يتخذ هذا التناسب الهندسى شكل البناء الهرمى حيث تتحكم قاعدة البناء فى صيرورة قمته بحيث لا تأتى البنية الفوقية الا تولدا عن سلم البناء والانتظام فى الهرم بكلياته .

أما نموذج هذا التناسب فنجده متخللا نسيج التفكير الخلدونى فى نشأة العلوم والمعارف انطلاقا من استكمال ضرورات المعاش فى الوجود الانسانى . ويقف ابن خلدون فى هذا المسار بوعى معرفى حاد ، وتجريد علمانى مركز على ظاهرة تولد الحاجة الفكرية حالما تسد الحاجات العضوية ، وهو ما يفضى بالاجتماع الانسانى الى التفرغ للنشاط العقلى بمجرد إحكامه سبل الكسب والمعاش فيما هو ضرورى لبقائه ، فتتولد عندئذ العلوم والمعارف بالتدرج والملاحقة ويكون بناؤه هرمى التكوين : قاعدة الهرم هى البنية المعاشية وسنمه هو البنية المعرفية ، أما صور الهرم الاجتماعى وسياجه فانما هو الدولة ذاتها ، وهنا سر آخر ـ على حد تصريح ابن خلدون ـ وهو أن الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهى التى تنفق سوقها وتوجه الطالبات اليها ، وما لم تطلبه الدولة وانما يطلبها غيرها من أهل المصر فليس على نسبتها ، لان الدولة هى السوق الاعظم وفيها نفاق كل شىء » (20) .

وهكذا يكون تولد العلوم متناسبا على قدر مخصوص من ازدهار قاعدة الهرم ونمائها لأنها صورة المعاش وحقل الاقتصاد (21) .

* * *

---

(20) المرجع ـ 403 .

(21) يقول ابن خلدون فى هذا السياق (ص 400 ـ 401) : « فى أن الصنائع تكمل بكمال العمران الحضرى وكثرته ، والسبب فى ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضرى وتتمدن المدينة انما همهم فى الضرورة من المعاش وهو تحصيل الأقوات من الحنطة وغيرها فاذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضرورى وزادت عليه حرف الزائد حينئذ الى الكمالات من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم انما هى للانسان من حيث فكره الذى يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية

على أن مبدأ التناسب يتخذ شكلا ثالثا فى مظان الفكر الخلدونى فيأتى على صورة المعادلة الفيزيائية التى تنطلق من حضور الزمن فى كل تعامل حركى مع الوجود ، ذلك أن محصول القوى المختلفة انما يتحدد بنسبته من الزمن ، وليس للظواهر ـ سواء البشرية منها أو الطبيعية ـ من فعل أو تحويل أو صيرورة الا بمقتضى نسبة قواها من الزمن الصائرة فيه .

فالزمن اذن هو معدل التكافؤ أو الرجحان بين الفعل ومحصول الفعل ، لذلك فان بين الزمن والفعل تناسبا عكسيا فى تحديد المحصول الواحد ، بمعنى أن ثمرة تفاعل القوة فى الزمن تتجسم قطعا فى محصول محدد ، فاذا تضاءلت القوة ازداد الزمن حتما لبقاء نفس المحصول . واذا تضاعفت القوة تناقص الزمن بالضرورة .

فاذا اعتبرنا أن محصول القوة فى الزمن هو فعل ورمزنا اليه بـ (س) كان لدينا :

$$\text{س} = \text{قوة} \times \text{زمن}$$

وعن ذلك يترتب بالضرورة أن القوة هى نسبة المحصول على الزمن بحيث :

$$\text{قوة} = \frac{\text{س}}{\text{زمن}}$$

وان الزمن هو مطابق لنسبة المحصول على القوة :

$$\text{زمن} = \frac{\text{س}}{\text{قوة}}$$

والغذائية فهو مقدم لضروريته على العلوم والصنائع وهى متأخرة عن الضرورى وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعى الترف والثروة » . ويقول مذكراً (ص 434) : « فى ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة والسبب فى ذلك ان تعليم العلم كما قدمناه من جملة وقد كنا قدمنا ان الصنائع انما تكثر فى الامصار وعلى نسبة عمرانها فى الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع فى الجودة والكثرة لانه أمر زائد على المعاش فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف فى خاصية الانسان وهى العلوم والصنائع » .

وهذا ما يحدد قانون التناسب الفيزيائي باعتباره ناموسا يحقق اطراد الظواهر ويمكن العقل من تشريح تواترها وعقلنة حركتها .

ولا شك أن أهل النظر فى أصولية العلوم الصحيحة لو تفرغوا الى استنطاق مقدمة ابن خلدون طبق رؤاهم لتوصلوا الى الاستدلال على عمق هذا القانون ولأعانونا على سبر أغواره الأصولية فى المنظومة الفكرية العامة ، ولكننا ــ من موقعنا المعرفى المخصوص ــ نكتفى برسم نموذج ندلل به على ثبوت هذا القانون الفيزيائى دون أن نزعم استيعابه كليا فى ثنايا المقدمة .

لقد جاء هذا النموذج فى معرض حديث ابن خلدون عن « إنكار ثمرة الكيمياء واستحالة وجودها » . ومنطلقه فى الموضوع استبانة الشرائط الاولى التى تتم بها عملية النشوء فى الظواهر ، ويحدد منذ البدء قانونا تكوينيا يستوجب اجتماع « المولدات العنصرية » على نسبة متفاوتة « اذ لو كانت متكافئة فى النسبة لما تم امتزاجها » . فلا بد من جزء يتغلب فى الامتزاج على العناصر الاخرى ، وهو مبدأ طبيعى فى تفاعل عناصر الكون جملة ، ثم يتعين حصول طاقة حرارية مؤثرة اذ « لا بد فى كل ممتزج من المولدات من حرارة غريزية هى الفاعلة لكونه ، الحافظة لصورته » وعندئذ يأتى ناموس الزمن لأن عملية الفعل والتأثير تقتضى فى أطوارها رسما من التواقت يسميه ابن خلدون « زمن التكوين » (22).

من هذا المنطلق يتضح كيف ان كل عمل بشرى انما هو بوجه من الوجوه « مساوقة لفعل الطبيعة » ، ولا مساوقة الا بالاذعان الى سلطان الزمن والرضوخ الى معادلته ، وهكذا يضع ابن خلدون يده على قانون النسبية بين الزمن والفعل ويهتدى الى أن التناسب طردى بين عنصر الزمن وقيمة المحصول مثلما أن هذا التناسب يغدو عكسيا بين الزمن وطاقة التأثير عند البقاء فى حدود المحصول الوَاحد ، لأن « مضاعفة قوة الفاعل ــ على حد تعبير ابن خلدون ــ تنقص من زمن فعله » و « اذا تضاعفت القوى والكيفيات فى العلاج كان زمن كونه أقصر من ذلك ضرورة » . كما أن مقدار الزمن اذا تناقص « ينوب عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه » (23) . ــ يتبع ــ

د. عبد السلام المسدى

---

(22) المقدمة ــ 528 .

(23) المرجع .

الفصل السادس :

الارخبيل

(٥)

روايـة : يوسف رزوقـه

ريم النائلي : أيتها السويلمي الفحل في هذه المدينة المومس ! كالحازوق الضوئي أنت ، تسلطين الاضواء الشائكة على الزوايا الخفيـة ، وتتـوغلين بالاصابع المختلفة في الامعاء الزرق ...

لكن ، أين أنت الآن يا سويلمي ؟ هل أرهقتك الحضارة ، فانتحرت ؟ لا أتوقع هذا ، إني أراهن على أنك ما زلت حيا ، تمهد طريقا للرجوع إلينا عبر المسافات المستحيلة ...

(أنت سويلمي بركات ، من مواليد البراكتية طبعا ، والبراكتية تجمـع سكني وسكاني ،، مبنى أساسا على بركان من العصبية والنعرة القبلية ...

عشت في عش من قش ، سرعان ما التهمته النار ، وخلفتك وجها مشوها تسكنه هيروشيما والاحزان ...

كنت وقتها في العشرين من العمر . كنت تتوقع غدا يمطرك فواكه لذيذة ، وتذكر : كانت الريح معك ، تلطك لطا وتدفعك الى الامام ...

وريم لم تكن حائطا للعصيان . قالت لك ذات غربة :

إني مللت حصائد الالسنة في مدينة الكساد . لقد أعلمتك مـرا أو مـرين بأني امرأة جريح ، تحاصرني الوحدة مذ كنت ولا أعرف ما ليل من نهار .

إني أشتاق جردقة خبز بائتة ، أمرسها في مرق السبارس وأتبلغ بهـا ، بمنأى عن الصخب ..

إني أشتهي النمو بعيدا ، تماما كما تنمو قضبان البطيخ والفقوس والدلاع تحت ضوء القمر ...

بيتنا مستعمرة نحل : عشرة أنفار يفغرون أفواههم في انتظار الخبز ، وإني جئت من معهم وفي خلدي نخلة ستكون مثقلة بالثمار ..) ..

....

هذه الليلة ما أثقلنها وما أبشعنها يا إلاهي !

أخذت سكينا ، كانت المومس مضطجعة فى حالة عرى موحش ، واندهاش كبيـــر ..

انتابتنى لحظة بيضاء كالميلاد فغرست السكين بحقد المتشفى فى السمـاء الملبدة بالسحب ، فانفجر الدم الفاسد من رأسى المشدود الى زمن الافلاس ..

منتصف الليل بالتدقيق .. ضمت الساعة عقربيها ، والمومس فخذيها .. ووقفت عند النافذة ، أتفقد المدينة برأس شامخ ، مسنون كسنـان الرمـح زمن الجاهلية ..

منذ شهر تقريبا ، صادفت سائحة بشط « سلقطة » .. كانت امرأة منملة ولذة .. أفرغت فنجان الحب وكان جماما ، ورأيتها تحاولنى على نحو خفى ..

فى الواقع ، أنا كنت كل صيف أبعثر فيتاميناتى هنا وهناك وأغـرق فى هوى السائحات حتى التصاق الجلد بالعظم ..

لكنى الآن ، لم أعد أحفل بالجسد المسافر ...

+ قلت : كريستين ، سأتواضع قليلا .. التواضع ليس سهلا من جانبى.. سأتحدث اليك بفرنسيتك التى سجنت أجدادى أمدا طويلا ، وزرعت فى دمهم (الفاسد بطبيعة الحال) وبـاء الـزنى ، والرحيـل الى مستنقـع الضفـادع المريضة ...

أعام أنى بشكل أو بآخر ، أقفز على لغتى . لكن ، أحيانا يلـذ لى أن التـزم القناعة مع نفسى لأمكنك من التواصل معى بلغة هى لغتكم ...

ومن باب التواضع العسير أيضا ، يسعدنى ولو إيهاما أن أعيد لكم اعتبارا فارطا يبعث فيكم شعورا متناميا بالخيلاء ، سيظل بلا شك يدغدغكم ويذكركم بأيام زمان ..

– أرجوك ، لا تهول الامور . الاستعمار شبح قـديم . أنـا أرفض فكـرة الاستعمار مثلك تماما ...

+ الاستعمار ؟ الاستعمار لا يعنى فقط ، التمكن بالأمكنة !. إنه فى رأسك هذا ، فى عينيك متى تختاسين بلدى وتعودين به الى مسقط رأسك فى شكل بطاقات مشوهة ...

ـ أبدلهميد !...

وأذكر أنى ابتكرت ابتسامة فى الحين وسارعت بالانسحاب ..

وظلت هى منبطحة على بطنها تعصر بعصبية كـرة من الرمـل وتهنـدس بأصابعها مدنا بلا شكل ...

ومنذ شهر أيضا ، شهدت عرس صديق لى .. بصراحة ، كدت أتقيأ أمعائى.

الكل ينخ رقصا عشوائيا ويصرخ بالبنادق ..

الكل يشحذ أعصابه على دق الطبول الصاخب ..

الكل يتصور العريس وهو يتقدم الصف الدائرى : إيرا محتقنا لهبا وكبتا سينفجر ما ان يتجاوز العتبة ...

والكل يتصور عروس صديقى فخذين مرفوعتين ، وبكارة للتمزيق من أول لقاء ، ليس إلا ...

أخذتنى سنة من نوم ثقيل .. كانت المومس خارج بيتى ، وخارج رأسى ، وخارج حلمى ، تمغنط سيارة أعقاب الليل الغرباء ..

....

أحسست أنى أتجزأ فى دائرة حمراء تضيق ، تضيق بى ... أحـاول أن أقبض على حبل من مسد ، فتتغرق يداى فى شىء موحل لا تتبينه عيناى ...

تتمغط اللحظات حتى لكأنها الدهر .. يلتصق جسدى بامرأة لا أعرف لها وجها ، تندس تحتى وهى عريانة تماما إلا من ورقة توت فى مستوى الفخذين..

تكون سخنة ، سخنة ..

تكون ملساء ملساء ، يكاد جسدى ينزلق من على جسدها ـ المرمر .. أصرخ لذة وعذابا و ... يتهشم الجسد الذى اندس تحتى فجأة . وأفيق على جسد لى يحملنى فينوء بى ، فأحمله : عشبا مبللا ، وقضيبا لائثا ومفاصل مرتخية ...

....

ما إن رددت الباب خلفى حتى أرتطمت أذناى بالتلفظات الكريهة ..

لعنة الله عليكم جميعا .. تملكون جسدا عجبا ، ورأسا خربا .. إنى أخجل بالنيابة عنكم وإنى أتبرأ من الانتساب إليكم يا سادة نجبا ...

إنه التمومس دائما ! رمز للفحولة بالنسبة للصغار وحتى الكبار ، وإنى أعجب كيف يقحب الرجال الصناديد ، كيف ؟

هل لا بد ، لكى تكون رجلا ، من أن تتغنى بجهازك التناسلى ؟ وتكيل الشتيمة واللعنات لأرحام الأمهات ؟

هل لا بد ، لكى تكون رجلا ، من أن تقول كلاما فاحشا ؟

أضحك والشارع يتأملنى فى صمت المتسائل . بت لا أطيق حكايات القرف ، وبت مهددا بالرحيل بين الحين والحين . أين أنت الآن يا سويلمى ؟

تعال ، نهندس معا مدينة مباركة ، لا شرقية ولا غربية ، أدركنى يا سويلمى ، قبل أن أستقر على قرار وأكون سكة دموية لعجلات القطار ...

★ ★ ★

رية وأنت تبتعدين ، تبتعدين ، تبتعدين ، هل سأحبك حين عودتى اليك ؟

وأنا أتساءل ، تذكرت صديقة لى تعمل فى مؤسسة حرة ، بدت لى جميلة نوعا ما . حين جلست اليها وبدأت بالحديث ، ضحكت حتى ملأتنى عشبا وفاكهة ومطرا بدريا .

كانت فى منتهى الحزن ، وكنت فى واقع الامر كذلك .

صمتنا . أحسست أن نهرا سيتفجر بيننا وأن قصة مبدإ ستبدأ .

كانت (نون) عاشقة الانهج العتيقة وكنت عاشق الشيح والسكوم والعرعار من البدء اختلفنا ، وكلانا سيدخل فى الآخر لكى يخرج وفى رأسه الصحراء .

هل أخطأت حين حدثت الآنسة (نون) عن الغابة والشمس والزيتون والارض والبدو البسطاء ، والحب العذرى يتسارقه بدوى وبدوية .

هل أخطأت أيضا حين حدثتها عن العصافير والبيادر ، وأزهار اللوز ، والصمت الدائم .

وقفت فى وجهها كنخلة فرعاء .. أعلمتنى أنها امرأة نزقة يرهقها الصمت وترفض أن تكون يوما ما ، وحيدة فى غابة توحى بالموت ...

قالت أنها تسكن الى المدينة وخاصة الى أنهجها العتيقة .. هى ظل ولا شك

لتلك البناءات المهددة بالسقوط ، وهى زمن من ذلك الزمن المتسكع على أرصفة موغلة فى القدم .

وقالت أيضا وأيضا أن لتلك الانهج ذاكرة تتواصل معهـا كلمـا شعرت بقحط أو موت ..

* * *

ظلت تفرك أصابعها والفرح يتدفق من عينيها تدفقا كأنه الهذيان . كانت عيناها تأتلقان ضحكا ، وكنت بدورى أضحك والفرح يزلزلنى ...

هو فرح ما ، وصمت ما ، تلبسنا بنا فجأة ، ودكا فينا موتا قديما . أو قل ، فرطالهم يحملنا على الضحك أحيانا .

* * *

« نهضت الآنسة (نون) نهوضا عفويا » .

كان الجدار يضحك والكرسى والدفتر المنسى .. فتحنـا البـاب ، كـانت السماء ملبدة بخيوط العناكب ، وكان النهر يسيـر فى الشـارع ، مطـاطىء الرأس وحزينا ، وكانت الشمس آخذة فى التوجه الى بحر من دم ، لم يكـن ولكنه قد يكون ...

* * *

قلت : يا ربة إنى أحن اليك الآن أكثر من أى وقت مضى . ما زلت أذكـر آخر لقاء ..

جلست أمى على كرسى واطىء ، قديم وهى فى نفس الوقت تفحـج فـوق مجمرة كبيرة ترمد فيها الجمر واصاعد منها وهـج وردى مشوب باصفرار ، يحقن فى جسد أمى الشتائى دفئا لذيذا .

كانت الأمطار تخدش سقف البيت وتخدش أسماعنا بالانهمـار القـوى . وجدى يهرمل تخريفا يتعلق به اخوتى الصغار . وأبى كعادته ، يعد الشاى ، وأخواتى البنات يجلسن الى النول ، يضربن بالخلالة ليلا ، نهارا ، والزربية توشك على التمام .

دمدم الرعد حتى تهشم بعيدا وتلاشى فى بئر بلا قاع ، وأخذت الامطار فى التوجه الى البحر ، وانسحبت السحب المركومة عن القرية المغتسلة ، وتجـلى القمر : غارقا فى العلو ، شاحبا من فرط ما يضىء .

بعد المطر وتحت القمر ، كل شيء شاعري رائع ، يلمع لمعانا يفيض بهارا وأنوثة وبراءة ...

وكالنعناع المتفرعن ، خرجت أحمل نزقي وطفولتي وشيئا من التلهف عليك ..

لم أكن أتوقع أن ألقاك عند الماجل تملئين سطل ماء ... فزعت الى وفي عينيك شيء من رحابة الدهشة .. اختليت بي في ظل توتة كبيرة حتى لا يتفطن الينا أحد . وبلا مقدمات ، تعانقنا الى أن أفقنا على صياح الديكة تغتال بقية ليل مسافر ..

في ذلك اللقاء ، حدثتك عن سويلمي . لم نعد نرى ضيرا في أن نتحدث عنه ونأخذ أخذه ..

وافترقنا وقتها وفي عيوننا لغة هي العذاب والحلم ..

* * *

أفكار غريبة وذكريات مشوشة تطرق رأسي اليوم . في الكلية ، اتجهت فورا الى مكتبة الفرنسية . كانت ريم منكبة على كتاب ضخم تفلي سطوره سطرا سطرا .

كان وجهي أصفر كالزعفران ، ولم أكن بقادر على الانشراح مهما حاولني الزملاء ..

تقدمت نحو ريم خطوات ، ثم عدلت عن إحراجها واخراجها من دائرة التركيز ..

ويبدو أنها لاحظتني أتوجه اليها ، فألقت ما بين يديها ولحقت بي :

ـ عبد الحميد ، كنت تنوي الجلوس الي ولا شك ؟

\+ ولكن ...

ـ لا عليك ، تعال ...

تسكعنا في معابر الكلية وعلى رأسينا الطير .

ـ قالت : لقد جاءني خبر سار من سويلمي مساء أمس .

\+ قلت : ماذا تقولين ؟

ـ قالت : إقرأ ..

وأخرجت من جيب فستانها المزهر ورقة صغيرة بحجم الكف تماما . أكاد لا أصدق .. ارتبكت عيناى فلم أعد أتبين الحروف ...

(سأعود يا ريم قريبا ... سأمكث فيك يوما واحدا ، ننتقل إثره الى تهديم الخرائب وبناء العش الذى راودنا فى الحلم ، بالاسمنت المسلح ..

لقد أصبحت فعلا غنيا على الرغم من ضيق ما باليدين . لكن ، إن أكن قررت أن أبقى فقيرا ، فلأن الفقر مأوانا أخيرا ...)

تملكنى سهوم وانخذال .. تكلفت الانشراح أمام ريم وباركت عودة سويلمى بعد كل ذلك الغياب ..

* * *

انقضت أيام قليلة وجدتنى إثرها أعود الى قريتى .. كانت لحيتى كثة ووجهى مكفهرا .

وكأنت قريتى غارقة فى اللامبالاة حتى الذقن .. كل الامور تسير على علاتها . لا حزن بحجم الحلم يدق الابواب بالعنف الضرورى . ولا هم غير تسقط الاخبار الوهمية وتلفيق الحكايات التافهة ..

كل مساء ، تنتشر الغرانيق السود فوق القرية ، وتبذر قفيزا وقفيزا من النعيق الفاسد ، الى أن ألفت القرية هذا النعيق وبات جزءا من نشيدها اليومى ، لم تزده الأيام الا تمكنا بالاعصاب والقلب ..

عندما حللت ، استقبحوا وجهى ورجمونى بالنظرات المعوجة ، الوقحة .. صرخت فيهم بكل ما أوتيت من شجاعة :

ـ كلكم كلاب لا تستحقون الذكر . كلكم أجياف تستترون ضوء الشمس بالغربال . هذه الارض تلعنكم وأجداد أجداد أجدادكم ... النعاس دائما والقمار دائما والنفاق دائما والموت دائما ...

نهرنى جدى : عيب هذا يا عبد الحميد ، هل جننت ؟ وأهوى أبى بكفه الغليظة على خدى : أنت عاق ، أفسدتك كتب الفلسفة والسحر .. أنت لست من صلبى ، أنتملقوط .. وتهامس عدد من الفلاحين الشيوخ : لقد جن الولد ... فى حين وقف بعض الشبان الشداد يحملقون فى وجهى وعلى وجوههم سحابة هم مدلهمة .

* قال بوزيان : سبحان الله ، لكأنه سويلمى فى أيامه الاخيرة !

٭ وقال عيفة البرأدعى : كلاهما نحس على القرية ..

٭ وقال الزبيبى بوشيحة : هل عرفتم الآن ، لماذا حبس الله علينا الغيث النافـع ؟

٭ وقال شعيب السعفى : كانت القرية مطمئنة ، هادئة ، ثـم جـاء هـذا الحطيط فشوشها بكراع كلب ...

٭ ٭ ٭

ودبت قطيعة بين الآباء والابناء . تسللت روائح الكـآبة الى المنـازل عبـر شقوق الابواب القديمة والنوافذ المغلقة . وعاذت رية بالصلاة والبكـاء وهى تلطم خديها وتندب حظها النكد ، وانسحبت الغرانيق السود فجأة ...

وكان ليل طويل وثقيل كالحيرة .

الريح تحتحت نبق السدر المصهود بالشمس وتصهل :

ــ ماذا يمكن أن تقول الريح فى مثل هذا الامتداد الموحش ؟

أسأل محبس الحبق المركوز منذ عهد بعيد على حافة الشباك الموصد دائما :

ــ هل كان موت فاحش ، ذات ظلام موحل ، فى هذا البيت المغلـق على روائح مختلفة .

ظلام الليل يساقط عذقا ، عذقا ، وزغاريد الريح تعلن عن ريحـة مـوت قديم تزيح الرماد عن جثة مشروخة لشيخ حى .

لأكن أجلس الى وجهى ومعى وجه من تنكرت لى قهرا وعلى حسن ظن ...

وليكن نعيق بومى قاحل ، أكن له حقدا دفينا .

وليكن نباح غليظ الشفرة ، يذبح دابر الكساد .

وليكن والدى ، بأغصانه اللاثثة ، يحاول أمى على الدكة وأمى تتحول عنه ، وبيننا حائط شفاف كجناح ذبابة حنطها الموت .

ولأكن ألعن هذا الصمت وأشمئز من قط رمادى يتبول فى احـدى زوايـا البيت ..

المخزون النفطى يتضاءل فيتضاءل ضوء القنديل ، وينفجر الفجر : شهيـا كالتفاح ... وتفيق القرية على دهشة الشبان وهمسات الشيوخ :

ــ إنه سويلمى يعود ، ومعه فتاة سمراء !..

يوسف رزوقه

(يتبـع)

الظرف بالحجاز في العصر الأموي

بقلم : البشير المجدوب

- 3 -

أثر المرأة فى نشأة الظرف

ب - على مستوى الاخلاق والسلوك :

لم يكن أثر المرأة الحجازية فى نشأة الظرف من حيث هو أخلاق وسلوك دون تأثيرها فى معاصريها بحسن مظهرها وتأنقها فى لباسها وزينتها ، ولا سيما داخل النوادي (I) والمجالس الادبية الفنية التى كانت - فى آن معا - بمثابة البوتقة تصهر فيها عناصر هذه الحضارة الناشئة ومركز إشعاع لها عبر الأقطار الاسلامية الأخرى .

لقد كان لنخبة من بنات الاشراف وبعض المغنيات المحسنات - كما ذكرنا آنفا - من قوة الشخصية ومتانة الخلق و « الثقافة » والموهبة الادبية الفنية ، فضلا عن الجمال والأناقة ، ما جعلها تضفى على هذه النوادى جوا خاصا بحكم حضور العنصر الأنثوى الممتاز فيها ، وأهلها لأن تكيف هذه النوادى وتسيرها

(I) من طريف ما يذكر حول النوادى الادبية ان هناك نمطا منها يشبهه الى حد ما النوادى الخاصة Clubs المتعارفة فى العصر الحديث ، فهو فى آن معا ناد أدبى ومكتبة وقاعة ألعاب ، وهى ظاهرة تدل على تطور فى المستوى الثقافى الحضارى لا يستهان به . جاء فى الاغانى ج 13 / 98 : « كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحى قد اتخذ بيتا ، فجعل فيه شطرنجات ونردات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل فى الجدار أوتادا ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفترا فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم ... » .

على النحو الذى يرضى أخلاقها ويتفق وسلوكها ، يحدوها فى ذلك مبدأ (2) مزدوج .. نزعتان جهدت هذه النخبة من النساء فى التوفيق بينهما : الحرص على الاستمتاع بالحياة ومباهجها ولا سيما لذة الفن من جهة ، والحفاظ الشديد على حرمتهن وسمعتهن من جهة أخرى .

ولعل أحسن تعبير عن هذا التأليف الجاد بين الخلق والفن ... بين استقامة السيرة صيانة للعرض والتنعم بلذائذ الحياة يتجلى لنا فى كلمة لعائشة بنت طلحة .

كان زوجها مصعب بن الزبير قد لامها على سفورها فقالت معلنة حريتها فى التنعم بجمالها ، وقد رأت فى هذه الحرية حقا لها طبيعيا مشروعا .. نعمة إلهية ليس لها أن تحرم نفسها ولا الناس منها ، فقد خلق الحسن ليشع إشعاعا لا ليحجب ويقبر ، على أن يكون هذا الاشعاع فى تصون واحتشام ، دون إثارة ولا تهريج ولا فتنة ولا غواية . وقد دلت بذلك على أصالة فى الشخصية وطرافة فى السلوك والنظرة الى الحياة هى ثمرة هذه النزعة التحررية التى اختص بها الجيل الحجازى الجديد ، وكان عائشة بموقفها هذا تعبر عن هذه الظاهرة وتمثل هذا الجيل .

والجدير بالملاحظة فى هذا الموقف القرآن الطريف بين الدين وعشق الحياة.. هذا الدفاع عن الحياة وعن حق التنعم فيها باسم الدين .

يقول صاحب الأغانى : « كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من احد فعاتبها مصعب فى ذلك ، فقالت : إن الله تبارك وتعالى وسمنى بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم ، فما كنت لأستره ، ووالله ما فى وصمة يقدر أن يذكرنى بها أحد » (3) .

ونلاحظ مثل هذه النزعة التوفيقية بين الدين والدنيا .. بين الخلق والفن عند سكينة بن الحسن فى أخذها بأسباب الجد والهزل معا (4) ، وقد حرصت من أجل ذلك ــ شأنها شأن عائشة بنت طلحة ــ على الامتثال لمزاجها

---

(2) الجدير بالملاحظة أن هذه الظاهرة لم تكن شيئا مقننا وإنما هى أقرب الى العفوية منها الى الطريقة المرسومة .

(3) الأغانى 37 / 106 .

(4) « كانت سكينة عفيفة سليمة برزة من النساء ، تجالس الأجلة من قريش، وتجتمع اليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحة » الأغانى 54 ــ 55 / 369 .

والاستجابة لنوازع طبعها وفاء لشخصيتها وإثباتا لها : « قيل لسكينة واسمها آمنة ، وسكينة لقب : أمك فاطمة يا سكينة ، وأنت تمزحين كثيرا وأختك لا تمزح ؟ فقالت : لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة تعنى فاطمة (عليها السلام) وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الاسلام تعنى آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم » (5)

ونجد انعكاسا لهذا المبدأ وأثرا منه خاصة فى نطاق النوادى الادبية الفنية ، فقد عملت المرأة الحجازية على أن يسود مجالسها جو من الأنس والصفاء والمتعة والسرور لكن فى حدود الرصانة والتحفظ والاحتشام (6) . فكيف لصاحبة المجلس أن تشعر جلساءها ـ دون أذى منها ـ وتقنعهم بضرورة ضبط النفس ـ فى حال الطرب والسرور ـ وكبح جماحها ، وإطلاق العنان لها فى الآن نفسه وإرسالها على سجيتها ، وأن هناك حدا أقصى من الانبساط وطرح الكلفة وحرية التصرف لا ينبغي تجاوزه بحال .!؟

ولعل أبرز شخصية حذقت هذا اللون من الظرف (أعنى فن المجالسة) وبرعت فى سياسة المجالس الادبية الفنية الى حد بعيد هى شخصية المغنية

---

(5) الأغانى 54 ـ 55 / 367 . لقد جاء جواب سكينة فى شكل « نادرة » فقد ردت على اللوم بالدعابة والمزاح على أن من وراء النادرة دلالة على الشخصية

(6) الرصانة والتحفظ والاحتشام أمر نسبي ومفهوم يختلف حسب البيئات والعصور ، فلقد كان يقال فى مجالس جميلة (وكذلك سكينة) « المحتشمة » ما قد نتذمم منه ونستهجن ذكره اليوم فى بعض مجالسنا مثلا ذكر بعض الحاضرين في مجلس جميلة لأسباب كراهية أو جندب لزوجها امرىء القيس وهى أسباب تمت الى الجنس بصلة، كما أن لسكينة (والعهدة على صاحب الأغانى) من التحرر فى القول أحيانا ما يدعو الى الاستغراب. فهل يفسر ذلك بأنه أثر من آثار النكبة التى منيت بها أسرتها ، وما ترتب عن ذلك من نزعة تمردية تجلت في اعتدادها المفرط بشخصيتها واشتراطها على بعض من أزواجها أن يعاملها معاملة الند له ، كما تجلت خاصة فى نقمتها على السلطة ، ومن وسائل التعبير عن هذه النزعة التمردية « النكتة » (أو النادرة) بمختلف أنواعها ودرجاتها . ولعل من أسباب هذا التحرر الذى حدا بها الى الافحاش فى القول أحيانا اختلاطها بالرجال مما قد يؤدى الى التشبه بهم واحتذائهم فى القول والفعل ..

جميلة لم تدانها فى هذا الباب ـ حسب ما جاءنا من أخبار فى كتاب الأغانى ـ واحدة من ظريفات زمانها .

ومن شواهد هذه البراعة ما اجتمع لها فى بعض مجالسها من خصال ومزايا يمكن اعتبارها آدابا راقية ساعدت هذه المرأة على أن تطبع ناديها بطابع شخصيتها بما فيها من قوة ومتانة ورقة ولطافة وحظ كثير من سلامة الذوق والتهذيب .

فمن ذلك حرصها ، ما استطاعت ، على التسوية (7) بين جلسائها معاملة وتقديرا ، وأن تحد من حرية الأفراد ـ دون إجحاف بها ومن غير مضايقة ولا إزعاج ـ بالقدر الذى يخدم مصلحة الجميع ويجعل من المجلس لحظات فريدة .. فرصة من فرص الدهر .. قطعة من الحياة صيغت صياغة فنية رفيعة ممتازة .

جاء فى الأغانى : « ... حدثنى من رأى ابن أبى عتيق وابن أبى ربيعة والأحوص بن محمد الانصارى وقد أتوا منزل جميلة ، فاستأذنوا عليها فأذنت لهم جميعا ، فلما جلسوا سألت عمر وأحفت ؛ فقال لها عمر : إنى قصدتك من مكة للسلام عليك ؛ فقالت له : أهل الفضل أنت . قال : وقد أحببت أن تفرغى لنا نفسك اليوم ، وتخلى لنا مجلسك . قالت : أفعل . قال لها الأحوص (وكان معجبا بجميلة ، ولم يكن يكاد يفارق منزلها اذا جلست) : أحب أن لا تغنى إلا ما أسألك . قالت : **ليس المجلس لك والقوم شركاؤك فيه .** قال : أجل . قال عمر : إن ترد أن تفعل ذلك بك يكن . قال الأحوص :

---

(7) هناك ظروف استثنائية أو طارئة تدعو الى مخالفة مبدأ « التسوية » كأن تزورها شخصية مرموقة من جلة القوم وأعيانهم أمثال عبد الله بن جعفر. « ... فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر ... وكانت جميلة شديدة الفرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقته وقبلت رجليه ويديه ، وجلس فى صدر المجلس ... وتحوق أصحابه حوله ، وأشارت الى من عندها بالانصراف ، وتفرق الناس ... » الأغانى 26 / 254 .

كلا . قال عمر : فانى أرى أن نجعل الخيار لها . قال ابن أبى عتيق : وفقك الله ... » (8) .

ومن آدابها أيضا ، وهو عنوان فائق رعايتها لجلسائها ، ما يتخلل مجلسها من رقيق الحديث ـ والحديث قوام الأنس ومن أهم دعائم الظرف ـ وما توجهه للحاضرين من عبارات المجاملة والحفاوة والبشاشة تتعهدهم بها إشاعة للأنس وتوثيقا لأسبابه كأن تتمنى دوام المجلس تعبيرا عن بالغ ارتياحها وسرورها، أو تعبر ـ عن طريق التلميح دالة بذلك على منتهى لباقتها ـ عن أسفها لقرب انفضاض المجلس وافتراق الشمل ، أو تعتذر عن نقص ما وتعد بتداركه فى أمد جد قريب .

« ... فقالت جميلة (وكان قد اجتمع لديها مغنون من مكة ضيوفا عندها وبعض من مغنى المدينة) : **ما أحسن مجلسنا لو دام اجتماعنا !** ثم دعت بالغداء فأتى بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة ، ثم قالت : **لولا شناعة مجلسنا لكان الشراب معدا ولكن الليل بيننا** . فلم يزالوا يومهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث . فلما جنهم الليل دعت بالشراب ودعت لكل رجل

---

(8) الأغانى 26 / 263 ويتصل بهذا المعنى رسم لها طريف وهو تعيين مواعيد مضبوطة لتلاميذها والراغبين فى الأخذ عنها . ويتصل أيضا بمبدأ « التسوية » مجاملتها لجلسائها من المغنيين وتلطفها فى صياغة عبارات الاستحسان والتقييم لفنهم تحرزا من الايثار الصريح لبعضهم على الآخر . ومما يذكر فى باب لطف معاملة الجلساء والرفق بهم ومراعاة منازعهم الخاصة والحرص على عدم إحراجهم عدم الزام الحاضرين بتناول الشراب . وتلطفها فى التماس ذلك منهم « ... ثم دعت (جميلة) بأنواع الأشربة ، فقال عمر (بن أبى ربيعة) : لا أشرب . وقال : ابن أبى عتيق مثل ذلك. فقال الاحوص : لكننى أشرب ، وما جزاء جميلة أن يمتنع من شرابها ؟ قال عمر : ليس ذلك كما ظننت . قالت جميلة : **من شاء أن يحملنى بنفسه ويخلط روحى بروحه شكرناه ، ومن أبى ذلك عذرناه ، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأنس بمحادثته** . قال ابن أبى عتيق : ما يحسن بنا إلا مساعدتك . قال عمر : لا أكون أخسكم ، افعلوا ما شئتم تجدونى سميعا مطيعا . فشرب القوم أجمعون ... » الأغانى 26 / 264 .

منهم بعود وأخذت هي عودا فضربت ثم قالت : اضربوا . فضربوا عليها بضرب واحد وغنت بشعر امرىء القيس :

أأذكرت نفسك ما لن يعودا فهاج التذكر قلبا عميدا
تذكرت هندا وأترابها وأيام كنت لها مستقيدا
ويعجبك اللهو والمسمعات فأصبحت أزمعت منها صدودا
ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريدا

فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك . ثم قالت : تغنوا جميعا بلحن واحد . فغنوها هذا الشعر والصوت بعينه كما غنته ، **وعلم القوم ما أرادت بهذا الشعر** . فقال ابن عائشة : **جعلت فداك ! نرجو أن يدوم مجلسنا ويؤثر أصحابنا المقام بالمدينة ، فنواسيهم من كل ما نملكه** . قال أبو عباد : **وكيف بذاك ! فباتوا بأنعم ليلة وأحسنها** » (9) .

ومن آداب جميلة الجديرة بالذكر تنويعها لمادة المجالس نفيا للسآمة وتأكيدا للمتعة والسرور فهي تعمد الى المراوحة بين الغناء والعزف والحديث والقصص وإنشاد الشعر وقد يتخلل ذلك شيء من الرقص أو الهزل والمزاح ، وقد أدركت بحدسها وذوقها مبدأ فن المجالسة وقانونه الذي نص عليه فيما بعد بشار في قوله وقد شهد مجلسا : « **لا تصيروا مجلسنا هذا شعرا كله ، ولا غناء كله** فان العيش فرص ، **ولكن غنوا وتحدثوا وتناشدوا** ، وتعالوا نتناهب العيش تناهبا » (10) .

جاء في الأغاني : « فقالت جميلة (لجلسائها وضيوفها من المغنين بعد أن فرغوا من الغناء وقد جاءوا يحتكمون اليها) : كلكم محسن وكلكم مجيد في مغناه ومذهبه ... ثم سألوها جميعا أن تغنيهم لحنا كما غنوا ، **فغنتهم** بيتا لأمرىء القيس وأربعة أبيات لعلقمة ... فكلهم أقروا لها وفضلوها . فقالت

(9) الأغاني 26 / 253 . ويندرج في هذا عبارات التقدير والتودد والاعظام ، مثلا تكنية بعض الحاضرين . « ... قال معبد : فسرت جميلة بما غنيتها به وتبسمت وقالت : حسبك **يا أبا عباد . ولم تكنني قبلها ولا بعدها ...**» الأغاني 26 / 258 .

(10) الأغاني ج 9 ، ص 124 – 125 .

لهم : **ألا أحدثكم بحديث يتم به حسن غضارتكم وتمام اختياركم ؟** قالوا : بلى والله ... **ثم دعت بالغداء ...** فلم يزالوا يومهم ذلك بأطيب مجلس ... **فلما** جنهم الليل **دعت بالشراب** ودعت لكل رجل منهم بعود **وأخذت عودا فضربت** ثم قالت : اضربوا ، فضربوا عليها بضرب واحد **وغنت ...** » (11) .

مثل هذه العناية التي توليها جميلة لناديها إتقانا لصياغته وإحكاما لنظامه إمتاعا وإيناسا لرواده ما كانت لتستقيم وتثمر لولا حرصها الشديد على صفو مجالسها فتحرمها لذة العيش ومعنى الحياة وتنال من منزلتها وفنها معا ، فمن ذلك رفضها للتعريض الذى من شأنه أن يخدش إحساس بعض الحاضرين ، وعدم الاذن (12) لمن تنكر أخلاقه ويستهجن سلوكه ، وقد تعمد الى طرد من يرتاب فى سيرته ويكون مثارا للبلبلة والاضطراب والتشويش والفوضى .

« **ثم قالت** (جميلة وقد نصبها المغنون حكما عليهم) للغريض : هات يا مولى العبلات ، فاندفع يغنى :

فوا ندمي على الشباب ووا ندم ندمت وبان اليوم منى بغير ذم
وإذ إخوتى حولى وإذ أنا شائخ وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم
أرادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

قالت جميلة : أحسن عمرو بن شاش ولم تحسن إذ **أفسدت غناءك بالتعريض** ، والله ما وضعناك إلا موضعك ولا نقصناك من حظك فبم داهناك ؟

---

(11) الأغانى 26 / 250 ـ 253 .

(12) « كان العرجى ... شاعرا سخيا شجاعا أديبا ظريفا ... وكان صاحب صيد .. فخرج يوما متنزها من مكة ومعه جماعة من غلمانه ومواليه ومعه كلابه وفهوده وصقوره وبوازيه ... فلم يزل يتصيد ويقصف فى طريقه حتى دخل المدينة ليلا ، وأراد المقام فى منزل جميلة ، **وكانت آلت أن لا تغنى بشعره ولا تدخله فى منزلها لكثرة عبثه وسفهه وحداثة سنه ...»** الأغانى 26 / 285 ـ 286 . على ان جميلة رقت للعرجى فيما بعد وسمحت له بالدخول الى منزلها بوساطة من الأحوص ، وكفرت عن يمينها .

ثم أقبلت على الجماعة فقالت : يا هؤلاء اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه ، فأقبل القوم عليه وقالوا له : قد أخطأت إن كنت عرضت . فقال : قد كان ذلك ولست بعائد . وقام الى جميلة فقبل طرف ثوبها واعتذر . فقبلت عذره ... » (13) .

وجاء فى الأغانى : « كان الأحوص معجبا بجميلة ولم يكن يكاد يفارق منزلها اذا جلست . فصار اليها بغلام جميل الوجه يفتن من رآه فشغل أهل المجلس وذهبت اللحون عن الجوارى وخلطن فى غنائهن . فأشارت جميلة الى الأحوص : أن أخرج الغلام ، **فالخلل قد عم مجلسى وأفسد على أمرى** ، فأبى الأحوص وتغافل ، وكان بالغلام معجبا فآثر لذته بالنظر الى الغلام مع السماع . ونظر الغلام الى الوجوه الحسان من الجوارى ونظرت اليه ، وكان مجلسا عاما . فلما خافت عاقبة المجلس وظهور أمره أمرت بعض من حضر باخراج الغلام فأخرج ؛ وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقل شيئا . **فحمد أهل المجلس ما كان من جميلة وقال لها بعضهم : هذا كان الظن بك ، أكرمك الله ؟** فقالت : إنه والله ما استأذننى فى المجىء به ولا علمت به حتى رأيته فى دارى ، ولا رأيت له وجها قبل ذلك ؛ وإنه ليعز على غضب الأحوص **ولكن الحق أولى ، وكان ينبغى له أن لا يعرض نفسه وإياى لما نكره مثله ...** » (14) .

على أنه يبدو أن جميلة لم توفق أحيانا .. بالرغم مما خصت به من كياسة ولباقة الى التوازن والاعتدال فى معاملتها لجلسائها لغلبة الجد والصراحة على طبعها فلم تواجه لذلك هفوات بعضهم بالحلم والرفق ، ولم تتورع من مجابهتهم بالحقائق المرة فى غلاظة وقساوة وفى شىء من الاستعلاء والكبرياء ، وفى ذلك إخلال بواجب اللياقة ومنافاة لسنن الظرف .

---

(13) الأغانى 26 / 269 .

(14) الأغانى 26 / 287 ـ 288 . وقد رضيت جميلة عن الأحوص وصالحته وجعلت له مجلسا خاصا حضره الغلام .

« زار ابن سريج جميلة ليسمع منها ويأخذ عنها . فلما قدم عليها أنـزلته وأكرمته وسألته عن اخبار مكة فأخبرها . وبلغ معبدا الخبر ـ وكانت تطارحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها ـ وكانت عندها جارية محسنة لبقة ظريفة ، فابتدأت تطارحها . فقال ابن سريج : سبحان الله ! نحن كنا أحق بالابتداء . قالت جميلة : **كل إنسان في بيته أمير وليس للداخل أن يتامر عليه** . فقال لها ابن سريج : صدقت جعلت فداءك ! وما أدرى أيهما أحسن أدبك أم غناؤك ! فقالت لـه : **كف يا عبيد ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « احثوا فى وجوه المداحين التراب »** فسكت ابن سريج . وطارحت الجارية ... » (15) .

البشير المجدوب

---

(15) الأغانى 26 / 263 . لئن كان ما أبدته جميلة من غلظة فى معاملة ابن سريج سببه هفوة ارتكبها هذا المغنى فاننا نلاحظ من الغلظة والكبرياء عند سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة احيانا ما ليس لـه سبب مقنع أو مبرر وجيه . يتجلى هذا فى نقد سكينة لعدد من الشعراء احتكموا اليها نقدا خشنا خلوا من اللياقة ، وكذلك فى معاملتها للفرزدق . كما يتجلى فى موقف لعائشة من زوجها مصعب بن الزبير وكان مفتونا حريصا على تدليلها. جاء فى الأغانى : « ودخل عليها مصعب يوما وهى نائمة متصبحة ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللؤلؤ فى حجرها . فقالت له : نومتى كانت أحب الى من اللؤلؤ » الأغانى 37 / 111 . ولعل امتياز جميلة عليهما وعلى غيرهما من بنات الأشراف من حيث الظرف فى الأخلاق والسلوك يرجع الى كونها مغنية ، والغناء ، كما هو معلوم ، يهذب الطبع ويلطف الشمائل أو هو على الاصح يساعد على ذلك ، ثم هى مغنية محترفة ، والصناعة تحوج صاحبها الى المجاملة والمداراة ، ثم هى أخيرا من الموالى وهى لذلك اقرب الى الحضارة وأبعد ، فى الآن نفسه ، عما قد يقترن بالنسب الرفيع من أبهة وصلف شموخ .

الـدائـرة

شعر : آدم فتحي

ربما أصبح الحزن منفضة للسجائر ذات مساء
ولم يبق فى خاطر الليل الا الشوارع والقطط البائسه
فاذا جئت يحملك الريح
شاهدت فى آخر الضوء نافذة عانقتها خيوط الضباب
وشاهدتنى خلفها آه
أقتل فجرى ولا اقتل الفجر
هل يقتل الفجر !؟ وهو قتيل من الفجر

* * *

طاولتى الف امنية فوقها
تتآكل فى قطرة كالمسافات
لونها آخر الليل فى آخر الأفق المتمادى
الى آخرات المدى الف عاصمة فوقها
تترنح فى برك الخوف والانتظار
كأن شوارعها صورى المدلهمات
بللها عرق التائهين معى
وتكسر فيها الندى الف عاصمة
بت يا ما ليال اعانق وحدتها واعانى !
وادخل غربتها واعانى
واقرأ فى آخر الدرب :
صوت الظلام جميل
واجمل منه الصدى

* * *

قال لى والدى :

منذ سبعين عاما أحاول ألا أموت
ومت على بسمة .. آه .. منفلته
قلت يا والدى :
هكذا الموت يحملنا حين نحمله
مثلما يحمل القبر شاهدته
آه لو نتغنى بما ضاع منا
ولو نتعلم كيف نحب .. ولا نتمنى
أنا وجعى حين يكبر
يمتد قافلة وصبايا
افلسفها وتفلسفنى
واوشوشها وتوشوشنى
ثم ياتى المساء فاركبها وأنا أتعلم فى حانة
كيف اضحك سرا على لحية الطقس
والجـد
والكلمات الكبيره

* * *

غدا ينبح الصحو
مثل الكلاب التى شردت فى الدوائر
اسماء زائدة او مرايا
يلوح عليها غد غير صاح وغير أكيد
وبين المقاعد ينمو الدخان تماثيل لكنها تتحرك
أو ظما حين أطفيه يثقبنى الكأس يثقبنى
فاسيل عناكب سوداء
مثل اختلاط المسافات
أو مثل قزم يدخن أوجاعه ويسيح لايقاف شىء بعيد .

* * *

اذا جئت يحملك الريح
شاهدتنى بين كفى وجها هو الحبر يقطر وقتا
ويصفر كالورق المتآكل ما بين كاسين
فيما تحث الهموم علينا
شياطين تكتبنا دائما خارج السطر

* * *

ما بين كفى شيء يدود .. أو يقرض الشعر
أو يقسم الشعرة المستحيلة نصفين
وجه أضعناه فى حركات المرور وعدنا
يعودنا النادل الزفت أن نشرب العمر كأسا ونغرق فيما مضى
ربما أصبح الحزن منفضة للسجائر ذات مساء
ولم يبق فى خاطر الليل الا الشوارع والقطط البائسه
اذا جئت يحملك الريح
شاهدت فى آخر الضوء نافذة عانقتها خيوط الضباب
وشاهدتنى خلفها آه
أجمع أوراق عمرى وأغصانه اليابسه
تائها مثلما اعتدت فى رحلتى وقرارى
أجرح ذكرى النهار
وأركب اعتى البحار
وأغرق فى اليابسه

* * *

يصبح المشكل الآن فى أن تحط الذبابة أو لا تحط على الكأس
أرحل فى وجنتيك
افتش عن لحظة أحتسيها على راحتيك
وكنت رأيتك خارجة من قطارات منتصف الليل
فى معطف الليل
احببت أن أبدأ الانتهاء على شفتيك
ومن شدة الحب أحببت أن أكره الحب

* * *

أحلم لو نتلاقى هنا دون أن نتلاقى
وخلف المدينة ذات المداخن والقبل العصبية
يجمعنا الافتراق
كأنى الصدى وكأنك مزبلة
جئت أنبش فيها وأبحث عن خارج الدائره
آه لو تعرفين جمال المزابل فى كم من المقل الساهره

* * *

أحلم الآن لو نتلاقى هنا

ليس يجمعنا غير شيئين
أنك انت .. وأنى أنا .. أرتديك ..
افصل منك شظايا امزقها ثم اعفس فيك
وأرحل سيدتى .. ألف سيدتى
لست ذئبا ولكننى أحمل الذئب فى الذاكره
آه لو تعرفين أنا
كم توزعت عبر الشوارع هذا الشتاء
أسكعها .. أنثر الحزن فوق الرصيف وفى أعين الآخرين
أنا عندما ينفخ الريح أسمع صمت ضلوعى وأفتح تغريبة العمر
أدخل عبر تجاويف عرجاء
تهبط .. تغطس فى الحلم ..
ترجع مثل التواء الرصيف على قدمى التائهه

* * *

آه لو تعرفين أنا
كم تعشيت بالجوع هذا الشتاء
وفى كل عين صلبت انتظارى
ومزقت قطعة شمس وعلقتها فى جدارى
لأبصر فيها ضلوع السنين وقلب السماء
ولى وردتان زرعتهما فى الثوانى
ورحت أخوض البحار بدون صوار ، وأقلع ضرس الهواء ..
لأرجع فى آخر الأمر وشوشة لا تغنى ولا تتحدث ..
أرجع لطخة حبر على آخر الصفحة الآخره .

* * *

يحدث الآن انك صاحبتى قطة تتمسح بى بينما تذبل الأغنيات
ويرتعش الماء من شدة البرد فى غرفة خائفه
آه ..
آه ..
دوائرنا تحفظ الآن كل دروس الدوار
ضئيلان نحن صويحبتى وضئيلان نحن
صعدنا صعدنا الى قمة الانحدار

آدم فتحى

الحياة النفسية ودورها في تنشئة الأطفال

بقلم: عايده عبد الحميد

الطرق مختلفة والهدف مشترك :

إن العمليات التربوية الممارسة على أطفالنا تختلف من عائلة الى اخرى ومن مجتمع الى غيره من المجتمعات وذلك حسب المعطيات الاولية لتلك البيئة وحسب المفاهيم الخاصة والعامة وحسب الحاجيات الضرورية والمستعجلة لهذا المجتمع أو لذاك ..

ومهما اختلفت الوسائل وتعددت فالغاية واحدة والهدف مشترك لان التربية السليمة تستهدف أول ما تستهدف جعل الطفل معتمدا على ذاته ، واثقا من نفسه ، مسيطرا على قواه الجسدية والعقلية .. منسجما والمحيط الذى يعيش فيه ..

إذن هناك مخططات مسبقة لهذه العمليات التربوية .. التى تهدف فى كلمة وجيزة ــ الى تكوين شخصية الفرد واعداده للحياة . وجعله ينمو نموا طبيعيا كبقية الاطفال .

ونمو الطفل النمو الطبيعي ، ليس هو بالامر الهين كما يحسب البعض وتربيته التربية الصحيحة تستدعى جوا ملائما وأرضية طيبة لان حاجيات الطفل النفسية تكاد تعادل حاجياته الجسدية .. فالطفل لا يحتاج فقط الى اشباع احتياجاته الفيزيولوجية فحسب ولكنه محتاج أيضا الى العطف والى الاهتمام والى الرعاية الخاصة بل الى قدر كبير من الحب .. لأننا سوف نلقن الطفل الى جانب الدروس ، الاخلاق والتصرفات والسلوك .. ويكون تلقينا تلقائيا نابعا من المحيط الى يعايشه الطفل يوميا ..

والبذور الطيبة لا تنمو الا بالارض الطيبة .. كذلك الطفل .. فنحن لا يمكن لنا تنشئته واعداده لتحمل المسؤوليات الا اذا اشبعناه حبا اذن فالاهتمام

الذى يجب ان نوجهه لاطفالنا سيساعدهم على الاستقلال الذاتى وبالتالى على تكوين شخصيتهم ..

والدعوة **الى بناء مجتمع الحب** هى فى حقيقتها دعوة **لبناء مجتمع سليم ..** وما أحوجنا فى عصرنا الحاضر – الى مثل هذا الحب ..

الاحداث تتسارع والاب والام يلهثان دوما وراء لقمة العيش ..

والابناء يعيشون فى شبه عزلة ..

مشكلة العصر ومفهوم التربية السليمة :

إن أناسا كثيرين – فى عصرنا هذا – يغفلون الجانب الروحى ويقيسون الاشياء كل الاشياء بمعيار واحد : هو معيار المادة ..

وهنا تبرز أهمية الحديث عن وجوب ايجاد توازن بين مطالب الانسان الجسدية ومطالبه المعنوية خصوصا فى بلدان عربية اسلامية ..

إن الانسان فى بلدان العالم الثالث تتلقفه ايديولوجيات متعددة لا تخضع لنواميس اخلاقية متفق عليها وهذه الظاهرة هى نتيجة امتزاج الثقافات الذى نتج عنه تزعزع فى الافكار والنظريات والعقائد .. والمشكل الذى نواجهه اليوم فى حقل التربية والتعليم هو « التحرى عن فلسفة تعليمية صحيحة شاملة تقود الشعوب الناهضة الى حياة متكاملة العناصر متزنة واضحة الاهداف تتسم دوما بحب الخير والعمل لاستثمار حاضر زاهر وبناء مستقبل سعيد » (1) .

من أجل هذا نرى أن التربية السوية هى التى توفق بين المطالب الجسمية والروحية لان للروح – كما للجسد – مباهجها ومسراتها وقوانينها .. وهذا ما يلتئم والفطرة السليمة .

إن الايديولوجيات المتعددة التى أفرزتها الحضارة الاوروبية تزرى بالانسان ، وتتنكر لانسانيته التى لولاها لألحقناه بالحيوان .. فلا « داروين » ، ولا « نيتشه » ، ولا « كارل ماركس » ، ولا « فرويد » ، ولا « كامو » استطاعوا ان يقدموا للانسانية شيئا غير الضياع والدمار .. لأن نظرياتهم جميعها قد أهملت الجانب الأسمى فى الانسان وهو الجانب الروحى ، فهى لم تعتن باشباع حاجياته الروحية .. وتلك هى المعضلة ..

(1) انظر تربية الانسان الجديد – المقدمة – للدكتور محمد فاضل الجمالى .

الاسلام وحده هو الذى حل هذه المعضلة وحقق ميزان التعادل ..

تنشئة الطفل واعداده للحياة :

ولانشاء جو مدرسى طبيعى اجتماعى « بناء للشخصية المحمودة » لا بد من تفاعل عوامل رئيسية ثلاثة : (2)

العامل الاول : الاسرة ـ العامل الثانى : المدرسة ـ العامل الثالث : المحيط.

الأســـرة :

كلنا يعرف أن للأسرة دورها الفعال فى جعل الطفل ينمو نموا طبيعيا .. وأركز هنا خصوصا على دور الام .. هذا الدور الذى يتمثل فى مساعدة الطفل على أن ينمو اجتماعيا وعلى أن يكون علاقات انسانية طبيعية ثم فى جعله يتعلم بسهولة .. فالأم هى المصدر الاساسى الذى يمد الطفل بالغذاء المادى والعاطفى .. معا ..

« فمن خلال هذا الدور الهام والحيوى ، للأم بالنسبة للطفل تمارس العملية التربوية فى تكوين السلوك الاجتماعى والاخلاقى ، للطفل » (3) .

لقد أثبتت المراقبة العلمية والدقيقة لسلوك الاطفال الذين يعيشون فى مؤسسات الرعاية والمنسلخين عن أوساطهم العائلية لأسباب اخلاقية او اقتصادية او اجتماعية ان هؤلاء الاطفال مهددون دوما بالتعرض الى انفعالات غير قابلة للاصلاح الى جانب تأخر عقلى وانفعالى عند نسبة كبيرة منهم .. أما الذين يمضون أطول مدة فى هذه المؤسسات فيكون معظمهم من المنحرفين رغم توفر كل المرافق الحياتية لديهم والتى لا يمكن ان تتوفر لغيرهم من اطفال الفقراء المعوزين .. وهنا يتجلى بوضوح دور وجود الأم الى جانب طفلها وضرورة التصاقها به .. « انه لمن حق كل طفل ان تبلغ قوى حياته اكتمال النماء .. ومما لا ريب فيه أن من العوامل التى تساعد الانسان على بلوغ مقامه الأسمى فى الحياة العناية والمحبة المطردتين فى زمن الطفولة » ـ الطبيبة ماغريت ريل (4) .

---

(2) انظر التربية المتجددة وأركانها ـ للدكتور حنا غالب ـ ص : 102 .
(3) انظر المجلة العربية ـ عدد 4 ـ 5 ـ ص : 89 .
(4) انظر التربية المتجددة وأركانها ـ للدكتور حنا غالب ـ ص : 238 .

المحيط أو ما يسمى بالبيئة الثالثة :

المحافظة على التوازن الصحيح بين حياة الفرد وحياة الجماعة من العوامل الاولى التى لا بد لكل معهد تربية التركيز عليها ، فتبذل أقصى الجهد لتنشئة هذا الصغير .. تنشئة اجتماعية على حد قول ابن خلدون « الانسان اجتماعى بالطبع » فعلينا ان نسعى بواسطة التربية الى التأثير فى تفكير الطفل وسلوكه طبقا لحاجات المجتمع وقيمه وموازينه .. مع الحرص بجعله يحتفظ بشخصية مستقلة وبتمكينه من التعبير عن آرائه بصراحة وبكل ثقة ..

« وما تأسيس المدارس وظهور مهنة التعليم كمهنة أساسية فى المجتمع الا نتيجة لهذا التطور الاجتماعى لحياة الانسان » (5) .

ودور المعلم هنا ليس بالهين لأن المادة التى يتعاطاها صاحب هذه المهنة هى الانسان نفسه .. إذن فمهنته تبدو شاقة .. وعسيرة ..

مهمة المدرسة أو بالاحرى مهمة « المعلم » :

انها ــ أى المدرسة ــ تتولى تربية نشء وخلق أجيال .. إذن وجب على المعلم ان يكون عارفا للمادة التى بين يديه ، ملما بخصائصها ، لا ينى يبحث عن خفاياها .. « فهذه المادة التى تساهم فى صياغتها وتنشئتها مهنة التعليم هى أثمن من الحجارة والخشب والذهب .. ومهنة التعليم على قدر ذلك هى أشق وأدق من جميع المهن الاخرى وهنا ــ نتوقف لحظات ــ لنحيى فى خشوع ــ ذلك الجندى المجهول ــ الذى يحارب فى صمت ويبنى فى صمت .. ويذهب فى صمت .. دون أن يقال له « شكرا » . او .. احسنت » .

اعلم انه واجب يقوم به ولكن عبء تنشئة الاجيال الجديدة عبء ثقيل والذى يرزح تحت هذا الثقل طوال أيام حياته لهو فى حاجة الى ان نقول له كلمة طيبة تشحذ عزيمته وتجدد حيويته ونشاطه .. ان المسؤولية التى يضطلع بها معلمو المرحلة الابتدائية لا تقل أهمية عن تلك التى يضطلع بها معلمو المرحلة الثانوية أو أساتذة الجامعة بل قل انها أكثر وزنا وأشد تعقيدا .. غير ان الجميع لا يهتمون بمتاعب هؤلاء الجنود المجهولين ، ولا بظروفهم المادية والنفسية والاجتماعية التى يمرون بها وربما يعيشون فيها .. باستمرار .. فهل سيعاد للمعلم اعتباره وهل سنسمعه فى يوم وقبل أن يرحل كلمة شكر أو تقدير

---

(5) انظر صفحة 38 من تربية الانسان الجديد للدكتور محمد فاضل الجمالى .

لتلك المجهودات الجبارة التي يبذلها في صقل الافكار وتهذيب النفوس واعداد النشء الى الحياة .؟؟ لست أدرى !!

في كلمة وجيزة نقول .. إن التربية إذن هي عملية بناء .. بناء الانسان وبناء الخبرة وبناء المجتمعات وبالتالى بناء الحياة .. ولا يتم هذا البناء في نظرنا الا بتفاعل قوى عديدة تصل في النهاية الى تحقيق التوازن والتفاعل بين مطالب الجسم ومطالب الروح بهذا يصبح بامكان الفرد مجابهة المشاكل والتصدى لها اذ ذاك نصبح قادرين على ان نشيد مجتمع الحب والعدل والسلام..

الامتحانات :

وأنا بصفتى مربية ـ بودى ـ لو أتعرض الى مسألة ـ تبدو ـ في نظر أطفالنا كالشبح المخيف . وهى مسألة الامتحانات .

اذا وضعنا في اعتبارنا ان التربية السليمة يجب ان تساير العصر . وأن تتطور وحاجياته الاساسية حق لنا ان نقول : إن الطريقة التى نقيم بها أطفالنا لم تساير العصر بعد .. ولم تتطور .. فالحكاية تتجدد في كل عام .. نفس الحكاية ونفس الاحداث .. ونفس النتائج .. الامتحانات بصورتها الحالية لا تمكننا من تقييم الطفل التقييم الصحيح .. لان الصدفة والحظ والظروف الطارئة قد تلعب دورا هاما وكبيرا في نجاح هذا وفشل ذاك .

فاذا كانت هذه الامتحانات تقرر المصائر فلا بأس من التفكير في تعديلها بحيث يتاح استخدام طرق أفضل كالامتحانات الشهرية واعمال السنة .. فهذا المحصول السنوى من أعداد التلميذ يجب الا يذهب هباء وأن يراعى لدى الحاجة .. فهذه الامتحانات المستمرة والتى تكون على مدار السنة تجعل تقييمنا لهذا التلميذ أو لذاك تقييما عادلا وصحيحا ومثل هذا التقييم من شأنه أن يقضى على دواعى الخوف والنقمة في نفس التلميذ ويجعله حريصا طوال السنة على ان يكون من الفائزين وهو لن يصاب بالانهيار لو أنه كان من الفاشلين ، لأنه يكون قد تهيأ نفسانيا لهذا الفشل وحسب حسابه ..

فرجاؤنا أن يراعى المشرفون على امتحانات الدخول الى السنة الاولى من التعليم الثانوى والتعليم المهنى هذه الاعتبارات وان يكون الامتحان حافزا للتلميذ على التفكير الصحيح المستقل حتى يكون له رأى ويكون له موقف وهذا ما أحسبه ـ الغرض الأسمى من العملية التربوية ..

عايدة عبد الحميد

الساحلين / مارس 1980

الإشراقات

شعر: رانبو
تعريب: محسن بنحميده

37 — ديمُقراطيَّةٌ

يَسيرُ العَلَمُ صوْبَ المَنْظرِ القَذِرِ
وَتَخْنُقُ لَهْجَتُنَا الطَّبْلَ
فِي المرَاكِزِ سَنُغَذِّي أَوْقحَ البغَاءِ
وَسَنَقْضِي علَى الثَّوْرَاتِ المَنْطِقيَّةِ
فِي البُلْدَانِ المُتَفَلِّتَةِ المُبْتَلَّةِ
فِي سَبِيلِ أفْظَعِ الإسْتِغْلالاتِ الصِّنَاعِيَّةِ
أَوِ العَسْكَرِيَّةِ
مَعَ السَّلاَمَةِ هُنَا وفِي أي مَكَان
يَا مُجَنَّدِي المَشِيئَةِ الطَّيِّبَةِ
سَتَكُونُ لَنَا الفَلْسَفَةُ الوَحْشِيَّةُ
سَنَجْهَلُ العِلْمَ وَنَنْقَادُ للرَّفَاهَةِ
وَالإنفجَار للْعَالِمِ السَّائِرِ
هَذِهِ المَسِيرَةُ الحَقّ
فإلَى الأمَامِ وَسِرْ

38 — خُـرَافِـي

فِـي سَبِيلِ هِيـلانَـةَ
تَـآمَرَتِ الأَنْسَاغُ الزّخرُفِيَّـةُ
فِي الظِـلاَلِ العَذْرَاءِ
وَالأَنْـوَارِ الـجَامِدَةِ
حرّ الصَّيْفِ وَدِيعَةٌ لَدَى طُيُورٍ خَرْسَاءَ
وَالخُمُولُ التّمَسّتْهُ لِفُلْكِ حِدَادَاتٍ تَافِهَةٍ
عُرَى غَرَامَاتٍ مَيّتَةٍ وَعُطُورٍ هَاوِيَّةٍ
بَعْدَ الحِين مِنْ لَحْنِ الحَطَّابَاتِ
إلى خَرِيرِ التَّيَّارِ
تَحْتَ حُطَامِ الـغَـابِ
مِنْ نَوَاقِيسِ الـمَوَاشِي
إلى صَـدَى الـوِدْيَـانِ
وَ صُـرَاخِ السُّـهُـولِ
لِطفُولَةِ هِيـلانَـةَ
اقْشَعَرّتِ وَالأَدْغَالُ وَالظِّلاَلُ
وَأَحْضَانُ الفُقَـرَاءِ
وَأَسَـاطِيرُ السّمَـاءِ
وَعَيْنَاهَا وَرَقْصُهَا أَسْمَى أَيْضا
مِنْ ثَمِينِ البَـرِيقِ
وَبَارِدِ التَّأْثِيـرِ
وَمِنْ بَهْجَةِ المَنْظَرِ وَالحِيـنِ
الـوَحِيـدَيْنِ

39 — حَــرْبٌ

عِنْدمَا كُنْــتُ طِــفْلا

أَرْهَقَتْ بَعْضُ السَّمَاوَاتِ نِظْرَتِي
وَتَوَعّتْ جَمِيعُ الطِّبَاعِ سِيمَائِي
فَانْفَعَلْتُ لِلظَّــرَاهِــرِ

وَ الآنَ

إنَّ انْحِرَافَ الأَحَايِينِ الأَبَــدِي
وَلاَ نِهَايَةَ الرِّيَــاضِيَّــاتِ
يُطْرِدَانِي عَبْرَ ذَلِكَ العَــالَمِ الذِي
أتَحَمَّلُ فِيهِ جَمِيعَ الإنْتِصَارَاتِ المَدَنِيَّةِ
تَحْتَرِمُنِي الطُّــفُولَةُ الغَرِيبَــةُ
وَالمَوَدَّاتُ العَظِيمَــةُ

وَإنّي لأُفَــكّرُ فِي حَرْبِ
غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ مَنْطِقِيًا
إنْ حَقًا أمْ غَضَبًــا
الأمْرُ فِي بَسَاطَةِ عِبَارَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ

الحياة الأدبية والفكرية في القرن 18 و 19 بولاية الوطن القبلي

الهادي حموده الغزي

– 2 – (*)

⑥ وأهم الحواضر العلمية كما رأينا هي نابل ، ومنزل تميم ، وزغوان ، وسليمان ، وقليبية .

أما العلماء الذين مثلوا مصادر المعرفة لتلامذة هذه الولاية فمن أشهرهم الشيخ الغرياني وأبو عبد الله محمد السوسي وأبو الفلاح وصالح الكواش ومحمد حسين الشريف وأحمد بوخريص وابراهيم الرياحي وأبو عبد الله محمد الطاهر وأبو عبد الله محمد المحجوب . وكل هؤلاء الاعلام من دعائم الحركة العلمية في تونس للقرنين الماضيين مما يدل على أن علماء ولاية الوطن القبلي لذلك العصر كانوا ينهلون من مشارب قومية هي عين المشارب التي كانت منهلا لبقية طلبة الولايات المهاجرين للعلم والتحصيل .

وبالاضافة الى ما ذكرنا من علماء هذه الولاية فان علماء أعلام ، هم بحق قد أشعوا من فيضهم العلمي على المستوى الجهوي والقومي ، وكان كل واحد منهم حريا بالوقوف عنده للنظر والبحث فيما ترك من آثار ومن أبرز هؤلاء الأعلام أبو الفداء اسماعيل التميمي من منزل تميم وأبي الحسن علي بن عمر المعتوق المالكي مذهبا والأشعري اعتقادا ، النابلي منشأ وانتماء ، ثم أحمد القليبي من قليبية ومحمد وأحمد وأبو يوسف منصور والثلاثة من منزل بوزلفة ومحمد ماضور السليماني الشاعر الناثر .

(*) انظر « الفكر » عدد 8 / س 25 / ماي 1980 .

⑦ واذا كان جميعهم أو معظمهم قد أدركته حرفة الادب قليلا أو كثيرا فان منهم من غلبت عليه النزعة العلمية والانتاج خاصة فى الفكر الحضارى الدينى وفيهم من طعم تلك الثقافة العلمية بثقافة رياضية .

ولعل من أشهر علماء الولاية علما ودراية وتدريسا وتأليفا ، هو أبو الفداء إسماعيل التميمى وأبو الحسن على النابلى . وأولهما كما هو معروف من نسبته من منزل تميم ولادة ومنشأ « وبيته من أشرافها » ولئن جهلنا تاريخ ميلاده فان أحسن من ترجم له ترجمة وافية ابن أبى الضياف فى إتحافه إذ عدد أساتذته وأولهم أحمد بن سليمان الصقالبى من أهل بلده وباشارة منه (15) ارتحل الى العاصمة فنزل الحسينية الصغرى « وأشرقت فيه أنوار شيخه الاول ... فى تحصيل العلوم فى أقرب وقت » حتى قيل فيه : « إن علم هذا الشيخ أشبه بالعلم الوهبى » (16) وبعد أن تخرج عن الكواش والغنجانى والشحمى وعمر المحجوب (17) تصدر للتدريس بالجامع الاعظم « فانتفع به أعيان (18) » ، كما أشتغل بالتوثيق زمنا « وهو الامام فى تلك الصناعة » وكان الوزير الكاتب حمودة بن عبدالعزيز ولوعا بمحاضراته مما جعله يكثر من زيارته ويجلس اليه فى محل توثيقه . ويتميز اسماعيل التميمى زيادة على كل ذلك بأن « له الخط الجميل والعبارات الفائقة » وقد تقلب فى وظائف شرعية مهمة منها أنه فى أيام حمودة باشا قدم « للشهادة على بناء داره بالقصبة » مضافا الى وكيلها الوزير العربى زروق ، ثم قدم لخطة القضاء على عهد هذا الباى 29 صفر 1221 هـ. وملأ كرسيه كما يقولون ولبث فيها وقتا ثم قدم للافتاء فى ربيع الثانى 1231 هـ. ولكنه أعيد للخطة التى قبلها فى السنة نفسها بعد أن أصيب فى عينيه القاضى أحمد بوخريص . على أن الحياة لا تعذب دائما فقد أمرت لاسماعيل التميمى فى أيام محمود باى الذى عزله ونفاه الى ماطر ، ولحق الاضطهاد أتباعه وتلامذته (19) ويبدو أن ذلك لظن الباى فيه بعد قتله لوزيره المصلح يوسف صاحب الطابع صديق اسماعيل التميمى الذى قتل فى 12 صفر

---

(15) الشجرة ص 370 والاتحاف 8 / 11 .
(16) الاتحاف 8 / 11 .
(17) الشجرة ص 370 .
(18) الاتحاف 8 / 11 .
(19) الاتحاف 8 / 12 والشجرة لمخلوف ص 371 وحدده صاحب الاتحاف بـ 10 ذى الحجة 1235 هـ. / 20 أوت 1820 م.

1230 ـ 29 جانفى 1815 فتكون التهمة بمفهومها الحاضر هى الخيانة العظمى ، وعزا صاحب الاتحاف هذا الى تخرصات الحسدة والمرجفين بأبى الفداء . على أن نفيه لم يطل اذ بعد أربعة وثلاثين يوما صدر العفو عنه فرجع الى منزله بالعاصمة مقيما مدرسا به وسريعا شاع صيته العلمى ، وفرضت شهرته العلمية على الباى حسين ارجاعه الى خطة الفتيا سنة 1239 هـ. ثم قدموه رئيسا للافتاء عوضا عن محمد المحجوب سنة 1243 هـ. (20) وبرهن فى جميع خططه « على أنه من علماء هذه الامة المحمدية ، آية الله فى الحفظ والثبات متبحرا فى العقليات والنقليات ، وكل مجالسه فوائد ، اذا سئل عن شىء انهل ودق علمه بالجواب ودليله حتى يخيل للسامع أنه مستعد للجواب عنه وسبحان من خص من شاء بما (21) شاء » ، وكان فى خططه الشرعية وأحكامه لا يتردد فى أن يجتهد ويعارض فى الاحكام والآراء حتى من كان ملقبا بشيخ الفقه وكبير أهل الشورى أبو عبد الله محمد المحجوب . وهذا دليل على أن بـاب الاجتهـاد لم يغلق فى جامع الزيتونة لتلك العهود بخلاف ما أشيع عن تلك الفترة . ومن صور محاوراته أن كبير أهل الشورى قال لأبى الفداء : « أنا أفتى فى دين الله ستين سنة وأعرف المسألة من حين روايتها عن مالك وكل من تكلم فيهـا . فقال ـ أى اسماعيل التميمى ـ له : لا غرابة فى اتصافك بذلك فانك حـافظ المذهب ، لكنى أعلم اعتماد كل متكلم فى المسألة على أى دليل » ، قال صاحب الاتحاف : « وكان الشيخ محجوب يرجع اليه » (22) .

وهذا الحوار يعطينا صورة للتكوين العلمى لذلك الوقت ، وأى نوعية هؤلاء العلماء التونسيين فاذا كان الواحد منهم يحيط بالمذهب المالكى قديما وحديثا وبكل مسائله وقضاياه على نحو من الشمول والتفصيل فان الثانى قد تجاوز مرحلة الحفظ الى مرحلة الادراك العقلى وذلك فى إحاطته إحاطة كاملة بكل أدلة الاحكام الشرعية من لدن الامام مالك . فأى نوعية اذن هؤلاء العلماء لا شـك أنهم بحق ملأوا عصرهم . وكان شيخ الاسلام محمد بيـرم الثانى الحنفى اذا زاره أبو الفداء ، تفرغ اليه « هاشا حتى ولو كان فى شغل ، ويقول لـه : لا

---

(20) الشجرة لمخلوف ص 371 .

(21) الاتحاف 8 / 12 .

(22) الاتحاف 8 / 12 .

تحرمنا من زياراتك وان كنت تأتي الى لتتعبني بالمسائل فأنا أيضا أستفيد من السؤال » (23) .

وانتفاع كل من العالمين ببعضهما يدل على التعامل المذهبي بين علماء المالكية والحنفية ورغبة اسماعيل التميمي خاصة في استجلاء المسائل الفقهية والقضائية بمثل هذا التنظير الذي يقوم به ، طلبا لتوافق الاحكام واجتنابا للتناقض ؛ ويجب أن يحمل ذلك الحوار على الزيادة في التحرى لدى علماء المذهبين ، لا على التبعية أو التلمذة .

ولقد كان إسماعيل التميمي بحق سمة علمية مهمة في التفكير القضائي التونسي كما كان سمة علمية بارزة وحرية بالمراقبة من حيث المنهجية والتكوين البيداغوجي . ويظهر ذلك واضحا في تعامله مع من تتلمذ عليه اذ نراه يتجنب الطريقة التلقينية بمفهوم البيداغوجية الحديثة وينزع الى استجلاء المسائل وتمكين المعرفة بطريقة الحوار التطبيقي المباشر بين الاستاذ والطالب وهي أجدى الطرق في الدراسات العليا الجامعية.حدث أن تقدم الشيخ البحرى طالبا من اسماعيل التميمي أن يدرسه كتاب الموافقات لأبي اسحاق الشاطبي ولكن الشيخ رفض ذلك وأرشده الى طريقة أفضل في التحصيل ، اذ قال له : « اعرضها وحدك واعرض علي ما تتوقف فيه فيكون حديث سمرنا ، ففعل وانتفعنا بذلك » (24) .

وكان اسماعيل التميمي فوق ذلك موسوما بالاطلاع التاريخي وله باع طويل فيه : « اذا تكلم في دولة ترى كأنه من رجالها » ، وكانت نظرته للتاريخ نظرة خلدونية كما استفدنا ذلك من بعض ملاحظاته في ثنايا كتاباته (25) ولم يكن عالما مغترا بل كان متواضعا علميا ، منصفا ميالا الى مذاهب المتزهدين وله في الصالحين اعتقاد ، ولعل ذلك جاءه عن طريق أستاذه الاول أحمد بن سليمان الصقالبي الزاهد . وقد كانت وفاته في أيام الباى حسين 15 جمادى الاولى 1248 هـ. وعمره أربعة وثمانون عاما فيكون ميلاده على وجه التقريب 1168 هـ. أيام الحروب الباشية والحسينية (26) .

---

(23) الاتحاف 8 / 13 وكان أبو الفداء يزور بيرم الثاني ويطيل الجلوس معه ويتردد عليه في مرض موته . الاتحاف 7 / 159 .

(24) الاتحاف 8 / 13 .

(25) انظر مدخل الرسالة الوهابية الورقة الثانية وجه .

(26) الشجرة ص 371 والاتحاف 8 / 13 .

⑧ وآثار اسماعيل التميمي متنوعة منها الرسائل والفتاوى والادب .

(1) من ذلك رسالة في بيان ايضاح ما كتبه المغيلي في رسالته جوابا عن سؤال صدر عن الشيخ الصالح الفقيه يوسف بن دندى وموضوعه طعام أهل الكتاب ، والرسالة الثانية في حكم أداء عشر القمح والشعير على الوجه الشرعي وكانت جوابا عن سؤال الباى حسين والرسالتان بالدار الوطنية تحت رقم 9105 كما توجد الرسالة الثانية بالدار نفسها تحت رقم 610 .

(2) ثم رسالة مسايرة في نوازل الأوقاف وهي بالدار الوطنية تحت رقم 424 .

(3) رسالة في مسألة الجبس كتبها اسماعيل التميمي الى المشير حسين باى تحت رقم 2597 وهي بخط المؤلف .

(4) تحفة التدبير لأهل التبصير تحت عدد 1397 بالدار الوطنية .

(5) رسالة في الحلو بالدار الوطنية تحت رقم 2688 .

(6) المنح الالهية في طمس الضلالة الوهابية كتبها سنة 1225 هـ. بالدار الوطنية تحت رقم 2780 وبها نسخة أخرى تحت رقم 421 و 424 .

(7) مقامة أو قل نواة قصة حديثة تدخل في الادب الذاتي وهي أحسن ما عثرنا عليه من عينات تكشف عن مرحلة التحول المقامي نحو القصة التونسية الحديثة لتجاوز تلك المقامة لمقومات فن المقامي اصطلاحا وليس بينها وبينه من نسب غير السجع ، والقصة هذه كما قلنا آنفا تدخل في الادب الذاتي لأن اسماعيل التميمي صور فيها حاله في أيام عزله ونفيه ، ثم العفو عليه ورجوعه الى العاصمة (*) .

وفي الجانب العلمي نلاحظ أن أنفس ما خلف ، دليلا على مقدرته في البحث العلمي هي رسالته المسماة : « المنح الالهية في طمس الضلالة الوهابية » . قال صاحب الاتحاف عنها وعن صاحبها : « ... ولما شاعت هذه الرسالة في القطر التونسي بعث بها الباى أبو محمد حمودة باشا الى علماء عصره ، وطلب منهم أن يوضحوا للناس الحق فكتب عليها العلامة المحقق نسيج وحده أبو الفداء اسماعيل التميمي كتابا مطولا بديعا يدل على يد طولى وسعة اطلاع سماه : المنح الالهية في طمس الضلالة الوهابية (27) هـ.

(*) الحكاية منشورة بمجلة « الفكر » مارس 1980 .
(27) الاتحاف 3 / 63 ، 64 .

والرسالة فى جوهرها بحث علمى منهجى يقوم فى هيكله على مقدمة فيها تشاؤم وقتامة عن عصره ، وضيق من أهله بسبب ما شاع وأشيع فيه من الحروب والفتن الدالة على مصداق ما كان تحدث به الرسول فى صحيح البخارى . أما الموضوع فحديث عن محمد بن عبد الوهاب وعن ثورته مبينا أصولها وجذورها الفكرية (28) .

« ... قد تلقف ـ أى محمد بن عبد الوهاب ـ من كلمات ابن تيمية المخالف لما عليه سلف الآمة ، وأعلام الأيمة من منع زيارة النبى عليه الصلاة والسلام والتوسل به ا لى الله تعالى فى نيل المرام والاستغاثة به فى المعضلات ، والنجاء اليه فى الملمات فتمكنت تلك الضلالة من هذا الرجل (29) الخلو قلبه من كلام غيره فتلقاها بالقبول ، ولم يرده عنها ما بقلبه من بعد عن الفحول ، فشنع على أهل عصره ما هم عليه من مخالفة ذلك ، وارتكابهم ما يؤدى اليها من المسالك من شدهم الرحال الى زيارة الاولياء والتوسل بهم وبالأنبياء ، والاستغاثة بهم فى الشدائد والتبرك بما لهم من الآثار والمشاهد . ونقم عليهم النذور اليهم وبناء الروضات والقباب عليهم . ولما رأى والله أعلم شناعة ما ذهب اليه واطلاقات النصوص وعموماتها تنادى بالنكير عليه ، حرر تلك المقالة ، وخص الاموات بالحكم الذى اقتضته الجهالة واستثنى الاحياء لاعتقاده الفرق بينهم وبين الاموات حسبما دل عليه لفظه فيما هو آت » ثم ينعى على ابن عبد الوهاب اتهام أهل زمانه بالشرك واغتنامه فرصة الجهالة التى يتخبط فيها أهل نجد « فألقى الى كبيرهم سعود هذا المذهب التميمى بما أضاف اليه هذا الوسواس الوهابى ، ورشحه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية » حتى اغتر به العام ورغب فيه الجاهل ، وما زال الامر يزداد سوءا بما أصبح يقوم سعود بتنفيذ تعاليمه فى الحجاز وفى الحرمين بالصد عنهما وعن زيارة النبى « ولأهل الحجاز خصوصا باطلاق يد العبث فيهم والعسف بالزامهم خطة الخسف ، واتباع هذا المذهب وحماهم عليه واغتصاب مال من لم يستجب اليه . واستحكمت هاته الحلة الرديئة فى قلوب تلك الأمة الجاهلية ، واستلحموا بها استلحام ذوى اللحمة النسبية ، واشتدت عصبيتهم وعظمت فيئتهم فطالبوا غايتها التى هى الملك والسلطان واستحفظوا على البضاعة الوهابية التى هى ملاك ذلك الشق ؛ فأقاموا لها دعاة يدعون الناس اليها ويستظهرون بالادلة

(28) الضلالة الوهابية ، الورقة الاولى ظهر .

(29) فى العبارة غمز وحطة لمحمد بن عبد الوهاب .

عليها ؛ فوضعوا رسائل تتضمن تقرير تلك المسائل وتحصينها بما زعموا أنه من الدلائل » (30) .

وهكذا فبعد أن قدم فكرة عن الدعوة الوهابية والظروف التي أحاطت بصاحبها ، وما بنى عليه مذهبه من المذاهب الفكرية الاسلامية ، واطمأن الى أن المتتبع لرسالته أنه قد قدم له صورة عن ذلك المذهب وأطواره تقدم خطوة أخرى فبين الاسباب التي حملته للتصدى الى تلك الدعوة : « فاتفق (31) أن ظفرت يد مولانا » حمودة باشا « بواحدة من تلك الرسائل » الوهابية. فوجه أيده الله تعالى ، بها الينا وأمر نصره الله أن نتكلم مع هؤلاء الناس ، فيما أبدوه من الهذيان والوسواس رجاء أن يهدى الله تعالى بذلك طائفتهم أو يفرق كلمتهم وجماعتهم وعصبيتهم » « حرصا منه على حفظ الدين » .

واسماعيل التميمي يكشف في ثنايا هاته الرسالة عن حيطة العالم وتقدير المفكر ونزاهة الباحث فقد قال في مبدأ رسالته محترزا : « ولما رأى شناعة (32) ما ذهب اليه ... » ثم يقول عن زعيم الحركة الوهابية ودعوته : « والله أعلم بذلك » ولكنه رغم ذلك يعزم على الخوض في دعوته معتضدا بأقوال الرسول والصحابة من أنه اذا كثر الكلام عن إمام جاز التعرض اليه . وبمساغه ، هذا وطأ لنفسه للدخول في الموضوع . « وحاصل ما اشتملت عليه الرسالة ثلاثة مباحث » ، جاعلا المبحث الاول في بيان عقيدة الوهابي والثاني أجوبة عن شبهاته واعتراضات ترد عليه ، وهذان المبحثان هما أساس الرسالة أما المبحث الثالث فتكميلي من حيث العمل وأساسي من حيث طبيعة الموضوع وهو الترغيب في التوحيد والتحذير من الكفر . ثم يتعرض الكاتب بعد ذلك الى هذه العناصر عنصرا عنصرا محللا مبينا مرة ورادا مفندا مرة أخرى وهو في كل ذلك معتضد بآراء كبار الأيمة والمفكرين من أمثال الامام مالك والغزالي وابن عربي وشهاب الدين القرافي وابن شهاب جاعلا في كثير من الاحيان من المقارنة سمته في الكشف عن وجوه الالتقاء المذهبي بين المذهب الخارجي والمذهب الوهابي وكان اسماعيل التميمي يرى في الحركة الوهابية خارجية حديثة (33).

---

(30) الضلالة الوهابية ، الورقة الثانية وجه .

(31) المصدر السابق الورقة الثالثة وجه .

(32) المصدر السابق الورقة الثالثة ظهر .

(33) المصدر السابق الورقة الرابعة وجه وما بعدها ومثل ورقة 13 ــ 14 ــ 18 ــ 19 وفي خصوص حديثه عن صلة الحركة الخارجية بالحركة الوهابية انظر ورقة 74 . والرسالة مبنية على فصول ، وتنتهي في ورقة 82 ظهر.

أما رسالته : مسايرة فى نوازل الاوقاف : « فقد ذكر المؤلف فى مستهلها ممهدا : « فالمقصود من هذه العجالة هو مسايرة رسالة صدرت فى نازلة من نوازل الاوقاف ، وحصل فيها بين أعلام محروسة الجزائر النزاع والخلاف حتى ألف فيها هذه الرسالة أشهر نبهائها وأفضل علمائها وأجل أذكيائها وفضلائها الشيخ المحدث الحافظ العلامة أبو العباس سيدى أحمد بن عمار رحمه الله تعالى فذكر فيها ما سنح له أنظار اجتهادية ، وأبحاث فقهية تكلم بها مع الأيمة ، أبى عبد الله محمد الحطاب ونجله أبى زكرياء ، وشيخه المحقق الناصر بن عبد الغفار . ولما اطلع الفقير عليها وعلى ما لديها ، وظهر له فيها من الكلام ما ستسمعه ، سايرها بهاته المقالة لتكون كالحاشية لتلك الرسالة ، استنصارا للصواب وتنبيها للغافلين ، وذكرى لأولى الالباب ، واستحفاظا على ما أودعناه فيها من الفوائد الجليلة المقدار المفرقة فى الكتب المصونة من ابتذال الأيدى ووقوع الابصار ، سالكا فيها طريق الانصاف ، منكفا عن الاعتساف ، سائلا من الله التوفيق الى الصواب » .

« النازلة : وقف واقف على نفسه ثم على ولديه فلان وفلان للذكر مثل حظ الانثيين ثم على ذريتهم وذرية ذريتهم » (34) وهكذا دواليك ، وحصل خلاف فى الميراث بين فروع الفروع ، فصدرت فتاوى من بعض علماء الجزائر كان رأى سماعيل التميمى خلافها وزيادة عن تميز هذا العالم بالمنهجية العلمية الواضحة فانه كعادته برهن فى رسالته هذه على قوة عقلية نفاذه وسعة اطلاع فى اختصاصه وجدلية ذكية مما يدلنا على أن النهضة العلمية التونسية لهذا العصر وإن استمدت أصولها وطابعها من أصول ذلك العصر ومعطياته التاريخية فان سمة متميزة قد تكون لعلماء الزيتونة دون سائر علماء الأقطار العربية ولعل من أظهرها هذه المناهج وطرق البحث والاعتماد على العقل فى فحص القضايا والفهم الدقيق والاتجاه النقدى التقييمى . واذا ذكر التلقين والحفظ فلا يكون إلا ضمن متطلبات مستوفية لما ينبغى أن يكون عليه العالم الزيتونى (35) . ولا شك أن اسماعيل التميمى هو أحد تلك العينات الحرية بالبحث اليوم والوقوف عند آثاره ومواقفه العلمية فى البحث والدراسة وفى آرائه وأحكامه العلمية والقضائية .

(يتبـع)

---

(34) رسالة مسايرة فى نوازل الاوقاف مخطوط بالدار الوطنية تحت رقم 424 ورقة 84 .

(35) المصدر السابق ورقة 85 ــ 106 .

كل شيئ يشهـق ..

قصة : الناصر التومي

كانت ليلة ممطرة ، البرق يمزق السحاب والسماء والابصار ، والرعد يفجر السفوح والهضاب والأفئدة ، لقد داهمت العاصفة القرية على حين غفلة بينما كان القوم نياما ، وصرخ الأب فى ابنته فاطمة بصوته الأجش :

انهضى ...

واختلطت صرختة بهدير الرعد فلم تزد الا ذهولا وهلعا ، يا للرحمة ما الذى يقع وما الذى أسمع ..؟ زأر الأب من جديد راكلا اياها برجله فانتفضت وتراجعت ترتجف ، الرعد وأبواق الريح العاتية وصراخ الأب اختطفت عقلها واتزانها ، ما رفضت يوما امرا لوالدها القاسى القلب ، الذى ما عرف الرحمة والشفقة ، صفعاته وركلاته تسبق كلماته والسباب واللعنات تصحب كل هذا فى غضب جمل هائج ، ولكنها أحست أن قوة أخرى ما تصورتها حالت دون الاصغاء الى أمر أبيها .

سكن الرعد وخفتت أبواق الريح عن النعيق وبدأ الارتياح يدب فى أصولها ، لكن لطمة الأب التالية دفعت بها الى الخارج ، لم يأمرها الأب بفعل أى شيء ولكن لطمة أو كلمة واحدة بدون معنى كافية لمعرفة ما يريد . تبا لهذا الجمل ، هاهو ينتصب كالجلمود أمام الدار يتحدى السماء والرعد والبرق والمطر ، ياله من أب طاغية ! لو كانت أمها بالدار ما تركتها تخرج تحت هذا الوابل من المطر مهما وقع ، حتى ولو تعرضت هى أيضا لركلات ولطمات .

ركعت تحت الجمل تفك رباطه وهى ترتجف كقطة مبللة داهمها الخطب ، كل شيء يمطر ويسيل ، كل شيء يبعث على الفزع والهلع ، صرخات الأب وركلاته وصفعاته ، السيل المنهمر من السماء فى غير عادته بالقرية من يوم عرفت الحياة والقرية والمطر ، والرعد المزلزل لكل شيء والبرق الخاطف للبصر ، وبغتة سكن كل شيء الا رذاذا خفيفا ادخل السكينة الى قلبها .

جذبت الجمل من الرباط وادخلته تحت الرواق وعادت أدراجها لتغلق الباب الخارجي وما إن أطلت برأسها الى الخارج بتطفل غير شعوري حتى أبرق البرق وأرعد الرعد في قوة الرحمان .

طال انتظار الأب لعودة ابنته ، ولما يئس من هذا الانتظار الرهيب ، التف في بعض ثيابه وأسرع الى الخارج وعقله عاجز عن تكهن ما وقع ، الغلظة أعمت له البصيرة ، فما دار بخلده أنها الفتاة الرقيقة الحساسة العاجزة عن مواجهة عناصر الطبيعة الغاضبة وقد ارتجت السفوح والأودية والجبال لهولها ، ان قسوته أخرست كل حس فيه واستحال الى جلمود قد من فولاذ ، تتكسر على شاطئه الكائنات المتحركة والميتة ، يؤلم ولا يتألم ، يفزع ولا يفزع ، يخيب الأمل ولا يخيب أمله . أنيرت السماء بخيط من نور البرق ، فعثر الأب على ظالته ، تفقد الجمل واطمأن لكن أين ذهبت ، ازدحمت التخمينات بمخيلته ، لعنها سرا وجهرا وارتسمت على محياه صرامة الطاغية الحاقد الغاضب لكلمة حق قيلت في حضرته وقد أصابته في الصميم .

ـ قد تكون لجأت الى بيت عمتها أو لحقت بأمها ما وراء خط السكة الحديدية ؟ يا للملعونة لو أقدمت على ذلك !

وهم بالعودة الى البيت لولا سماعه لشهقات تنبعث من الباب الخارجي فأسرع الخطى ، يصفع المياه الراكدة برجليه الحافيتين الثائرتين ، انه لم يبصر الا رداء ينتفض ، مصحوبا بشهقات مفزعة جمدت كل حركة فيه ، أراد أن يناديها فخانته الكلمات ، انفلتت منه واختفت في شعاب أعماقه ، تسرى في كل رجفة من رجفاته وفي كل خفقة من خفقاته ، هل حقا هي ابنته !؟ هذه التي أصبحت قطعة من الارتعاش والانتفاض ، انه لا يكاد يصدق ، قد يكون الامر أهون مما يتصوره ولكنه جمد في مكانه ليجسد الذهول والطمس .

أبرق البرق مرة أخرى فأبصر وجهها بعينيها الجاحظتين الغاربتين في السماء ، في صورة الذي يغادر الارض في رحلة النهاية ، بملامح مرعبة مرهبة تدفع الى الوقوف بمنعطف هاوية لا قرار لها ، كان الجسد يرتج ويهتز مصحوبا بشهقات تنبعث من الأعماق ، تدفع الهيكل أن يتبع هذا الايقاع بشراسة الذي يواجه خطرا ، الهلاك منتهاه .

ـ يا فاطمة ...

لقد أحس أنه أضعف من أن يتحمل هذا المشهد المؤلم ، ورغم هذا لا يعرف كيف انطلقت منه صرخة باسمها ، هي ما تبقى له من فظاظة ، ولما لم تعره أي

انتباه ، انثنى نحوها بجذعه الطويل فسقط اللحاف لما فقد تماسكه كأى شيء ميت . حمل فلذته كما يحمل مولود الناقة التى تخلص منها أخيرا بعدما وهبت له من النوق الكثير ، كان يحس بالرأفة والحنان لمواليد النـاقة وكان يحلـم بالنمو والتطور والكمال والمردود المالى الذى سيكسبه ، ولم يتذكر انه حمل احدى بناته كما يحمل أولاد الناقة الولود وكما يحمل فى تلك الآونة الكتلة المنتفضة .

ألقى عليها كل ما عثـر عليـه من غطـاء ليسكـن روعهـا ويخمـد فيهـا شهقات لو صدرت منه بعضها لمات . قبع بجانبها يشهد هـذا الانتفـاض فى جزع ويصغى الى الشهقات فى رهبة ، لقد عجز عن التصديق ، كل شيء فيه وفى هذا الكون لا شك يرتج مع هذا الهيكل الصغير ، كيف قدر هذا الهيكل على الصمود لهذا الهول ، لقد استحال الى صخرة صماء لا تصغى الا للشهقات، كان هيكلا آدميا يحتضن قلبا من صخر فاستحال الى صخر يحتضن قلبا من الرحمة والشفقة ، انه أعجز من أن يصمد أمام هذا القضاء ، لقد ذبح الحيوانات بأنواعها وبعث بأرواحها الى السماء ، ولم تصدر منه أية ارتعاشة أو رهبة ، إنه لقادر أن يقبض روحها لو فعلت منكرا فى ثوان من دون أن تخالجه ذرة من الرحمة أما وهذا الخطب الذى أصابها فالأقدار وحدها القادرة على صده ، إنه يتحطم وراء كل شهقة وتتمزق أطرافه ويفقد الشعور بوجود حقيقى لذاته ، إلا أشلاء من الكوابيس والتخمينات وتمزقـات فى القلب تبعث به الى عـالم كله ألم .

لقد سكن كل شيء عند الفجر وجلت بقع الغيوم من سماء القرية وظهرت أشعة الشمس لترسم يوما جديدا،والأب يقبع ويقف ويطل من الباب ومن الكوة ويعود من جديد فى تذبذب الذى فقد رجاحة عقله ، وقد أتعبته هواجس من نفسه ، إن الفتاة لا تزال تشهق وتنتفض فترتج الدار والقـرية بأشجارهـا وإبلها وسمائها ، لقد استحال كل شيء الى مرارة الذى فقد لذة الحياة ، حاول مناداتها فاكتفت بادارة بصرها اليه ثم تشهق وتهتز وتصبح نظراتها الدافع الاكبر للهروب من أمامها الى الخارج طريدا ، عجز عقله عن التركيز ، هل يلوم نفسه على ما صنع ؟ أم يلوم الأقدار ؟ أو يتضرع اليها فى خشوع !؟

ثلاث ساعات وهى ترتج ، يا للرحمة إنه يشعر بالموت عوضا عنها ، فى كل رجفة منها يحس انها الأخيرة وأنه هالك معها ، ولما نفد صبره غـادر الـدار مسرعا وعدا فى اتجاه دار ابنته الأخرى ليعلم زوجته بالخير فتدبر الامر ، كان يسرع ويلتفت ، إن شيئا منه بقى بين الحياة والموت يصارع النوائب ، ...و

أصابت الجمل لسقط سقطة لها دوى وأى دوى ، ما الذى يا ترى أصابها!؟ إنه لم يسمع بهذا القضاء طيلة حياته ، وفجأة توقف ، ها هى مقبلة نحوه ، إن الاقدار ترعاه .

ما إن اختطفت الأم ابنتها ورفعتها اليها وتمعنت فى سحنتها واهتزت مع اهتزازها وفزعت من شهقاتها حتى صاحت وولولت ولطمت صدرها وخديها والبنت تبصر وتسمع وتشهق ، نادت الأم الأب فما لبى النداء ، إن الشهقات تطارده فتبعثر أفكاره وتدميه فى الصميم ، لقد أصغى الى صرخات الأم وندائها ، فما زاده النداء الا تمزقا ، إنه أعجز عن الصمود أكثر من ذلك ! وغادرت الأم الدار وانتصبت أمامها وصرخت بأعلى صوتها مولولة ، وقبل ان يلحق بها الأب ليعرف جلية الخبر أطل القرويون ليشهقوا ، وامتلأ فناء الدار ، وما من مصغ لجلية الخبر حتى يتغير وجهه ويولى الأدبار بعيدا عن شهقات تحز القلوب وتعكر المزاج ، وكثرت التخمينات ، واستنجدوا بفلان صاحب بركة ، وفاتح لكتب الحكمة وبفلانة التفالة ، وانتشر الخبر فى القرية كما ينتشر الجراد فى الارض وأصبحت الدار قبلة القرويين يغلبهم تطفلهم ، وما ان يقفوا على جلية الامر حتى يهربوا طالبين ـ اللطف ـ .

تحدثت كل البيوت بشهقات فاطمة وترددت الشهقات فى أذن كل قروى ، إنها ها هناك تشهق ، وإنهم ها هناك يتألمون ويروون قصتها ، فى كل حركة شهقة وفى كل لفظة شهقة ، داخل كل بيت وعلى كل شجرة شهقة ، نسى الناس همومهم ، وتكبلت تحركاتهم وأصبحت دار فاطمة قبلتهم ، الأقدار وحدها القادرة على تحمل ما تتحمله البنت ، عجزوا عن التكهن بالخاتمة بعدما عجزت الشعوذة والأدوية إبطال هذا الداء .

لقد أخطأت البنت فأصابتها اللعنة ، ولكن لماذا هى بالذات التى تصاب وقد أخطأ غيرها !؟ حليمة وبشرة مضغة فى الأفواه ، يلوكهما الناس كما تلاك العلك ومع هذا لم تصابا بمكروه ، وما كانت لتخطىء فاطمة ذلك الملاك ، وهى حلم شباب القرية ، صاحبة حسب ونسب ، ما أبصرتها عين فى وضع مزر وما ذكرها لسان إلا بالخير ، الأقدار ترى ما لا تراه الأعين ، وقد يخطىء المرء فى حق الاقدار ومعهذا لا يصاب الا بعد حين .

الأيام تتمطط ، كل شيء يتمطط ، لقد غزا القلق النفوس وكانت الحيرة ، القرية كلها تشهق ، تختنق ، تدفع بأنفاس معقدة حائرة الى السماء ، تحمل ألف سؤال الآذان ما عادت تسمع إلا الشهقات ، والأعين ما عادت تبصر الا

الانتفاض ، حتى الارض والسماء فى انتفاض دائب ، لقد شلت حركة القرية ، لا شيء يبعث على الاطمئنان ، لا شيء يبعث على التفاؤل ، كل شيء تافه ، كل شيء منقوص ، الكمال نسبى ، إن الامر جد خطير والخطب عظيم ، العقول شلت ، أصابها العماء ، فلم تعد ترى الأشياء بميزان الطبيعة ، فقدوا الثقة فى كل شيء واختنق المنطق عدوا الامر ظواهر تنبىء بالويل والثبور .

كان من المفروض أن يرجم أى شيء آخر غير فاطمة ، ولقد اخطأت الطبيعة فى الاختيار ، فالقربان كان وليد اختيار طبيعة عمياء فقدت أنبل حواسها فاذا بها تخبط خبط عشواء ، وتلقفت أناملها زهرة كان لا بد أن تكون اكليلا تتوج الهامات الصادقة ولكنها كانت القربان غير المزكى من المنطق . وطبيعيا أن لا تشهق فاطمة وحدها ، فالقرية كلها تشهق ، وقد تكون ارادة الطبيعة التى أرادت تأديب القرية باختيار الضحية من اطهر صباياها .

هل أصابت ..؟ هل أخطأت ..؟ الصواب نسبى وكذلك الخطأ ، هل كانت فاطمة تشهق حقا أم كانت وهما ، إن القرية كلها تشهق وقد يكون المراد بالرجم هى القرية ، كل القوانين والشرائع تعاقب الفرد أو تسمو به حسبما قام به هو من أعمال .

كانت السماء داكنة ، السحب تحجب القرية عن كل شيء حتى عن معرفة الحقيقة ، وعلى حين غفلة أبرق البرق وأرعد الرعد فى قوة الرحمان ، أفزعت ما هب ودب ، وسكنت فاطمة وانقطعت شهقاتها ، لقد أنصفتها الطبيعة ونامت البنت تلك الليلة ، واستغرقت فى النوم حتى الموت الا القرية التى لم تنم ، لقد سهرت هلعة فزعة .. تشهق .. وتشهق .. حتى الموت .

الناصر التومى

آخر ما ظهرق بتونس من المجموعات الشعرية

الجرح المسافر	محمد على الهانى
حروف تجر الفعل الماضى	الصادق شرف
أمتاز عليك بأحزانى	يوسف رزوقه
صوتى مقلوع الأظافر	حميده الصولى
نوافير .. وتشدو !	البشير المشرقى
الرحلة فى الأبيات	رياض المرزوقى

رسالة الأصل والتحول

بقلم : محمد العياشي

ـ 2 ـ (*)

وفعلا فاننا اذا اعتبرنا (فعلن) وجدنا فيها هذه الظاهرة تتكرر فى أكثر من موضع :

1) فى الهارب : (وهو صورة من صور المديد عند الخليل) :

فاعلاتن فاعلن فعلن فاعلاتن فاعلن فعلن

وله ضربان (فعلن) و (فعلن) بتحريك العين فى الأولى وتسكينها فى الثانية :

أ ـ (فعلن) بتحريك العين وذلك كما فى هذين البيتين لأبى نواس :

فى ندامى سادة زهر أخذوا اللذات من أمم

فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

ب ـ (فعلن) بسكون العين وذلك كما فى ضرب هذا البيت :

رب نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا

(أممي) (غارا)

ـ ـ ← ـ ب ب

2) فى البسيط : وله ضربان . ولا أعلم له من ضرب ثالث إلا مزاعم وردت فى علم العروض . وهما (فعلن) و (فعلن) بتحريك العين فى الأولى وتسكينها فى الثانية :

أ ـ (فعلن) بتحريك العين وذلك كالذى فى هذا البيت :

ماذا الاقامة بالزوراء لا سكنى بها ولا ناقتى فيها ولا جملى

ب ـ (فعلن) بسكون العين وذلك كالذى فى ضرب هذا البيت :

(*) تابع لما نشر بالفكر : ع 8 / س 25 / ماى 1980 .

سهم أصاب ورامیه بـذی سلـم من بالعراق لقد أبعـدت مرمـای

(جـمـلـــي) (مـــاكـــي)

ب ب – ←— – –

ج ـ فی الخبب : ويمتزج التشكلان فيه فى عامة الاجزاء بلا تميز الا الضرب فانه لا يقبل الا تشكلا واحدا :

كـلـــف بـغـــزال ذى هيـــف خـــوف آلـواشيـــن يـشـــرده
نصبـت عينـــاى لـه شـركـــا فـی الـنـــوم فـعـــز تصيـده

(نـصـبـــت) (عـيـنـــا)

ب ب – ←— – –

ونلاحظ فى جميـع هذه الحـالات أن التعـامل لم يكن إلا بين (فعلـن) (ب ب –) و (فعلـن) (– –) دون (فـاعلـن) . واذا اعتبـرنـا مـا استنتجناه من تلك الفرضية المتعلقـة بـ (فـعـلاتـن) و (فـاعـلاتـن) و (مفعـولـن) واعتبرنا الشبه الذى بين (فعـلاتـن) و (مفعـولـن) من جهة وبين (فعلـن) بتحريك العين و (فعلـن) بتسكينها من جهة أخـرى جاز لنا أن نستنتج أن (فعلـن) (– –) هى تشكل تحول بتسهيل الجمع عن تشكل أصل هو (فعلـن) (ب ب –) ، وهو ما يؤيد احتمالنا عندمـا قدرنا أن التشكل الأصل فى ضرب الخفيف هو (فعلاتن) دون (فاعلاتن) .

ولكن هل حققنا نتيجة ما بهذه المحاولة الأخيرة وهل أفادنـا شيئا تكرر الظاهرة (ب ب ←— –) فى أكثر من تشكل إيقاعى وفى أكثر من بحر ؟ وهل نستطيع أن نقرر منذ الآن الحقائق الآتية ؟

1) أن التحولات التى تعترى التشكلات الايقاعية ليست تحول تشكل أصل الى تشكل تحول ولكنها تحول نواة إيقاعية أصل الى نواة إيقاعية تحول كالذى يحصل فى (ب ب ←— –) .

2) أن النواة (ب ب) هى نواة تأسيسية أصل فى إيقاع الشعر العـربى تمتاز بأنها تقبل التحول .

3) أن الأصل فى الرمل والمديد وضرب الخفيـف هو (فعـلاتـن) وليس (فـاعـلاتـن) .

لا . لا أظن أن هذا مما يتسنى لنا تقريره منذ الآن وذلك للشبه الكبير بين (فعـلاتـن) و (فـاعـلاتـن) و (مفعـولـن) من جهـة وبين (فعلـن) و (فـاعلـن) و (فعلـن) من جهة أخرى خصوصا اذا تذكرنا أن (فعلـن)

قد تعتبر هى نفسها تحولا عن (فعـلاتـن) لا عن طريق الزحـاف ولكن عن طريق التلوين (العلـة) كما فى ضرب الرمل الذى قد يكون (فعـلاتـن) كما فى هذا البيت :

أيـن من عينـي هاتيـك المجـالى   يا عروس البحر يا حلـم الخيـال

أو (فعلـن) كما فى هذا البيت :

لا تلـم كفـى اذا السيـف نبـا   صـح منـى العـزم والحظ أبـى

وإذن فلـن يتسنـى لنـا تقريـر ذلـك الا اذا تكـررت تلـك الظـاهرة ∪ ∪ ← – فى بحور أخرى وتشكلات أخرى تختلف اختلافا جذريا عن (فعلـن) و (فعـلاتـن) وذلك كالذى فى الكامل والوافر والمنسرح :

1) الكامل : فأما الكامل فانه يقوم على التشكاين (متفـاعلـن) بتحريك التاء و (متفـاعلـن) بتسكينها .

(∪ ∪ – ∪ –) = (– – ∪ –)

واذا نحن اعتبرنا النتائج التى تحققت لنا فى هـذا البحث فان الصيغـة الأولى (∪ ∪ – ∪ –) تكون هى التشكل الايقاعى الأصل ؛ وتكون الصيغة الثانية (– – ∪ –) تشكلا تحولا عن طريـق التسهيل بجمـع المقصورين (∪ ∪) فى ممدود واحد (–) كالذى حصل فى (فعلـن) و (فعـلاتـن) .

2) الوافر : وأما الوافر فانه يقوم على التشكلين (مفاعلتـن) بتحريك اللام و (مفـاعلتـن) بتسكينها .

(∪ – ∪ ∪ –) = (∪ – – –)

واذا نحـن اعتبـرنـا النتـائـج التى تحققت لنـا فـان الصيغـة الأولى (∪ – ∪ ∪ –) تكون هى التشكل الايقاعى الأصل . وتكون الصيغة الثانية (∪ – – –) تشكلا تحولا عن طريق التسهيل بجميع المقصورين (∪ ∪) فى مدود واحد (–) كالذى حصل فى (فعلـن) و (فعـلاتـن) .

3) المنسرح : وأما المنسرح (1) فان ضربه يأتى على صورتين (مفتعلـن) بسكون الفاء و (مفتعلن) بسكون الفاء والعين وتساوى (مفعولن) :

(– ∪ ∪ –) = (– – –)

واذا نحن اعتبرنا النتائج المذكورة فان الصيغة الاولى (– ∪ ∪ –) تكون

---

(1) كما هو فى التراث لا كما تنص عليه الدائرة .

هى التشكل الايقاعى الأصل وتكون الصيغة الثانية (ـ ـ ـ) تشكلا تحولا بجمع المقصورين (ں ں) فى ممدود واحد (ـ) كالذى حصل فى (فعلـن) و (فعـلاتـن) .

تلك مواطن مختلفة من بحور وتشكلات وقع فيها التحول ں ں ⟵ ـ فنلاحظ ذلك مليا لنرى ما يمكن استنتاجه . وتفيدنا الملاحظة :

1) أن النواة (ں ں) اذا كانت فى الخبب والرمل والمديد والبسيط وضرب الخفيف ثالثة ثلاثة :

أ ـ (ں ں) فى (فعـلاتـن) و (فعلـن) بتحريك العين

ب ـ (ـ ں) أى (فـاء) فى (فاعلاتـن) و (فاعلـن)

ج ـ (ـ) فى (مفعـولـن) و (فعلـن) بتسكين العين

بما يجعل بين (ں ں) و (ـ ں) علاقة ما لا نستطيـع معهـا أن نجـزم بأن (ں ں) هى النواة الأصل دون (ـ ں) فانها فى الكامل والوافر والمنسرح ثانية اثنتين لا ثالثة لهما :

أ ـ (ں ں) فى (متفاعلن) و (مفاعلتن) و (مفتعلن)

ب ـ ـ) فى تلك التشكلات معولة بالتسهيل)

بما ينفى أية صلة أو علاقة مهما كانت بين (ں ں) و (ـ ں) ونستطيعمنه أن نجزم ـ استنادا الى الاستنتاجات السابقة بأن (ں ں) هى نواة إيقـاعية أصل تمتاز (1) بأنها تقبل التحول من غير أن تكون تحول عن نواة إيقـاعية أخـرى .

2) أن النواة (ں ں) قد تتعامل مع (ـ) دون (ـ ں) كما فى الخبب وكما فى الكامل والوافر وضرب المنسرح ؛ وقـد تتعـامل مع (ـ ں) دون (ـ) كما فى الرمل وقد تتعامل معهما جميعا فى نفس الوقت كما فى ضرب الخفيف . ويستنتج من ذلك أن تلك النواة (ں ں) بحضورهـا فى جميـع التشكلات المذكورة تفرض علينا اعتبارها نواة تأسيسية أصلا لم تأت نتيجة تحول أو غيره وأن النواة (ـ ں) (فـاء) بحضورها فى بعض التشكلات

(1) خلافا لغيرها من النوى : (لا) و (تـن) فى (فعـلاتـن) و (لـن) فـى (فعلـن) و (مفـا) و (تـن) فـى (مفـاعلتـن) و (فـا) و (علـن) فى (متفـاعلـن) و (مفـ) و (لـن) فى (مفتعلـن) التى هى ثابتة لا تتحول .

وغيابها فى البعض الآخر تفرض علينا أن لا نعاملها إلا كما نعامل النواة (ـ) عندما تأتى فى موطن الزحاف على أساس أنهما نواتان تحولان عن النواة التأسيسية الأصل (ب ب) للتسهيل .

3) أن النواة (ب ب) سواء كانت (فعـ) فى (فعلاتن) و (فعلن) أو (متـ) فى (متفاعلن) أو (علـ) فى (مفاعلتن) أو (تعـ) فى (مفتعلن) إذ تتحول حيثما كانت ومهما كان التشكل الى (ـ) أو (ـ ب) فان هذا يدل على أن التحول الطارىء للتسهيل ليس تحول تشكل الى تشكل ولكن تحول نواة الى نواة من غير أن يكون لذلك مساس ببقية التشكل . والدليل على أنه ليس تحول تشكل الى تشكل هو أنه إن استقام الأمر لـ (فعلاتن) و (مفعولن) فى ضرب الخفيف بما يحقق التعادل بين الصيغتين :

(فعـ/ـلاتن)	=	(مفـ/ـولن)
ب ب / ـ ـ		ـ / ـ ـ
I I / 2 2		2 / 2 2
6		6

فانه لا يستقيم لـ (متفاعلن) و (مفعولن) فى ضرب الكامل بما يتخرم به التعادل :

(متـ/ـفاعلن)	≠	(مفـ/ـولن)
ب ب / ـ ب ـ		2 / 2 2
I I / 2 I 2		ـ / ـ ـ
7		6

واذا رجعنا الى الواقع الشعرى وتدبرنا ضرب الكامل لاحظنا أن (مفعولن) لا تقع بديلا من (متفاعلن) ولكن بديلا من (متفاعل) بسكون اللام وحذف النون وهو ما يضمن سلامة الكميات بين التشكلين :

(متفاعل)	= (فعلاتن)	= (مفعولن)
ب ب ـ ـ	ب ب ـ ـ	ـ ـ ـ
6	6	6

ويفسر حضور (مفعولن) فى ضربى الخفيف والكامل على حد سواء .

وكذلك نكون قد أقمنا الدليل على أن التحـول الحـاصل بالتسهيل ليس تحول تشكل الى تشكل ولكن تحول نواة الى نواة وأن المشكلة لبست مشكلة (مفعـولـن) وكيف تتعـادل مع (متفـاعلـن) و (فـاعـلاتـن) ولكـن مشكلة (فاعـلاتـن) وكيف تتعادل مع (فعـلاتـن) ومشكلة (متفـاعـل) وكيف تتعادل مع (متفاعلن) .

هذا واذا رجعنا الى التشكلات التى تناولناهـا فى هـذا البحث واعتبرنـا موقع النواة (ن ن) منها استطعنا بالاستناد الى النتائج السابقة أن نعـرف الكثير عن واقع إيقاع الشعر العربى والمبادىء التى يقوم عليهـا . ونحتـاج لتحقيق ذلك الى رسم الجدول الآتى :

نواة ثابتة	نواة متحولة	نواة ثابتة	نواة ثابتة
	فعـ ن ن — ن	ـلن —	
	فعـ ن ن — — ن	ـلا ـ	تن —
مفـ —	ـتعـ ن ن —	ـلن —	
	متـ ن ن —	ـفا —	علن ن —
مفا ن —	علـ ن ن —	ـتن —	

وهو ما يتيعين لابراز النوى التأسيسية الأصلية المكونة لهذه التشكلات ويفضي بنا الى استنتاج ما يأتي : و

1) أن النوى الأصلية في إيقاع الشعر العربي ثلاثة أصناف : (ں ں) و (ـ) و (ں ـ) .

2) أن صنفا من أصناف النوى الثلاثة متحول (ں ں) والصنفان الآخران (ـ) و (ں ـ) ثابتان .

3) أن تحول التسهيل (1) (الزحاف) لا يصيب إلا النواة (ں ں) .

4) أن النواة (ـ) صنفان : أصلي وحادث (بالتسهيل) .

5) أن التحول الحاصل بالتسهيل صنفان :

أ ـ تسهيل بالجمع (ں ں ←― ـ) وهو ما ثبت وتأكد .

ب ـ تسهيل بالاهتضام (ں ں ←― ں) وهو ما نحتاج الى شرحه .

6) أن النواة (ں ں) تقع في أول التشكل أو في وسطه ولا تقع في آخره إطلاقا لأن العرب لا يقفون على متحرك .

7) أن النواة (ں ں) تكون مشفوعة بالنواة (ـ) وجوبا .

8) أن الخبب موجود ضمن جميع التشكلات وذلك بتعاقب النواتين (ں ں) و (ـ) فيها والجملة : (ں ں ـ) .

9) أن الرمل يتألف من ثلاث نوى : من نواتي الخبب مشفوعتين بالنواة (ـ) .

10) أن الكامل من ثلاث نوى : من نواتي الخبب مشفوعتين بالنواة (ں ـ).

11) أن الوافر يتألف من ثلاث نوى : من نواتي الخبب مسبوقتين بالنواة (ں ـ) .

---

(1) خلافا لتحول التلوين (العلة) .

I2) أن النواة (ں ـ) بوقوعها فى الكامل بعد نواتى الخبب وفى الوافر قبلهما حجة على أن (فـاعلـن) فى (متفـاعلـن) تشكل نـوتين مستقلتين عن بعضهما (ـ / ں ـ) .

وكذلك نكون قد أخرجنا القضية من المأزق الذى ترددت فيه المدة اثنى عشر قرنا ووضعنا البحث فى اتجاهه السليم ومكنا الباحث من معطيات جديدة لا تلبث أن تفضى به الى الحل النهائى .

والآن وقد أوضحنـا مفهـوم التسهيـل وسوينـا وضعيـة (فعـلاتـن) و (فـاعـلاتـن) بما يخول لكل واحدة منهما صفتها الراجعة اليها باستحقاق ويجعـل :

(فعـلاتـن) ⟵ (فـاعـلاتـن)

أصـــل تحـــول

كما أراد هذا البحث لا كما أراد الخليل ويقبل به كل الباحثين بلا تدبـر ولا روية بما يجعل نتائج أبحاثهم صفرا لاستنادهم فيها الى معطيـات غـالطة من أساسها قلنا الآن نحتاج الى أن نصل الى تفسير الزحاف :

(فعـلاتـن ⟵ فـاعـلاتـن)

متجسما فى تحول النواة (ں ں) الى النواة (ـ ں) وهو ما أفردنا له فصلا كاملا (الاهتضام) فى كتابنا « الكميات اللفظية والكميات الايقاعية فى الشعر العربى » الذى سيصدر قريبا إن شاء الله . فليرجع الباحث اليه لضيق المجال هنا والله نسأل أن يوفقنا الى سواء السبيل هو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد العياشى

أضداد الفكر

محمد مــزالى فى الصحــافة القطــرية

كتب الاستــاذ رجاء النقاش الناقد المعــروف فى جريدة الراية القطريــة تعليقين بمناسبة تعيين الأستاذ محمد مزالى وزيرا أول وأمينا عاما للحزب يوم 20 ماى 1980 و 13 ماى 1980 وهذا نص التعليم الاول الذى جاء تحت عنوان :

محمــد مــزالــى

« كــان افلاطون ينادى فى كتابــه المعروف باسم « الجمهورية » بأن من الضرورى أن يكون الوزراء والحكام « فلاسفــة » أى من أهل الفكر والثقافــة والمعرفة ، وكان يرى فى ذلك ضمانا وأمانا للانسانية والحضارة من الضياع والاضطــراب ، فالمفكرون والفلاسفــة هم أهل الحكمة والعدالة والاهتمــام بالمصالح العامة البعيدة بدلا من الاقتصار على المصالح المحدودة العاجلة ، والفلاسفة ، والمفكرون هم الذين يمكنهم أن ينظروا فى مشكلات الناس بعمق ويضعون لها الحلول الصحيحة .

هذه هــى نظريــة أفلاطون التى انطبقت فــى عصره على تلميذه العظيــم « ارسطو » الذى كان فيلسوفا عظيما ، ووزيرا عظيما فــى نفس الوقت لملك مقدونيا ، كما أصبح بعــد ذلك استاذا للاسكندر الأكبر فعلمــه وأدبه وزرع فى عقله بعض الأصول الحضارية الكبرى التى لعلها ــ حتى اليوم ــ هى السر فى بقاء الاسكندر « حيــا » على صفحات التاريخ رغم آلاف السنين التى مرت على وفاته . ذلك لان الاسكندر لم يكتف بالفتوحات الكبيرة التى وصل اليها بقــوة السلاح ، ولكنه كان ينشر الحضارة معــه أينما سار فيبنــى المدن والمسارح والمكتبات فى أى مكان يمتد اليه سلطانه الواسع العريض .

المهم أن أفلاطون طرح نظريته عن حكم الفلاسفة ، ولم تتحقق هذه النظرية كثيرا على مر التاريخ ، فقد كان السياسيون أقوى من الفلاسفة والمفكرين ، وأسرع منهــم الى الــوصول الى الحكــم والمحافظة عليه ، وكــم من الفــلاسفة والمفكرين فقدوا حياتهم على يد السياسيين ، أى ان هــؤلاء المفكريــن لــم

يصلوا – فى معظم الأحـوال – الـى الحكـم كما أراد أفلاطون ، بل انهـم لم يستطيعوا المحافظة على حياتهم فى ظل غيرهم من السياسيين والحكام .

أكتب هذه الكلمات وفـى ذهنى خبر أسعدنى كثيرا ، هـو تولـى الكاتب الأديب المفكر « محمد مزالى » منصب رئاسـة الوزارة فى تونس . وقبل أن يتولى « محمد مزالى » هذا المنصب بأسابيـع قليلة قـام بزيارة للدوحة ، والتقيت به هنا مع عدد من الاخوة والاصدقاء ، وتبادلنا معـه أحاديث عديدة فى سائر شؤون الفكر والثقافة والأدب والفن ، وكان فى كل هذه الأحاديـث نموذجا للمثقف العربى العصرى ، الذى يعرف تراثه معرفة واسعة وأصيلة ، ويعرف فى نفس الوقت ثقافـة العالم المعاصر معرفة واسعة وأصيلـة ، ولم يكـن « محمد مزالـى » بحال مـن الأحوال من هـذا النـوع مـن المثقفيـن « الاستعراضيين » الذيـن يذكرون أسمـاء الكتـب والمفكريـن والنظريـات والاصطلاحات بكثرة ، دون أن تكون هذه الأسماء الكثيرة مهضومة فى « معدة ثقافية » سليمة ، كلا ... بل كان مثقفـا يقظا مليئا بالحيويـة صاحـب رأى وطموح كبير الى أن ينهض العرب نهضة أصيلة واعية ، وكان مدركا للمخاطر والمشكلات ، ومدركـا أحسن الادراك للحلول والطرق السليمة فى مواجهـة هذه المشكلات والمخاطر ، وكان يتمتع الى جانب ذلك كله بالعذوبة والحيوية فى ذهنه وشخصيته ، وهذه من الصفات الطيبة التى تجتمع عادة فى المفكـر الذى لم يشغل نفسه بالنظريات فقط ، وانما انشغل أيضا بالحياة ، أى بتطبيق النظريات التى بها آمن واقتنع ، وكان فى « محمد مزالى » الى جانب ذلك كله ما فى الشخصيـة العربية التونسية منذ وقت طويل ، من حـب للتجديـد ، والخروج من الجمود والقوالب الثابتة التى لا يكسب الانسان والمجتمع منهـا إلا الصدأ الحضـارى والتخلف عن ركب الدنيـا التى لا تتـوقف عن المسيـر والتقـدم .

على اننى لم أعرف كل هذه الصفات عن « محمد مزالى » من مجرد لقائـى به فى الدوحة ، بل عرفتها من قراءاتى المتعددة له ، فهو كاتب أديب صاحب اسلوب فى التعبير واسلوب فى التفكير ، وقد أنشأ مجلة من أقـدم المجلات الثقافية العربيـة وهى مجلـة « الفكـر » ولم يتخل عن ادارتها والاهتمام بها والمشاركة فيها ، مهما صعدت بـه المناصب أو تقدمت به السلطة ، ولسـت أشك فى أنه سوف يحافظ علـى ادارة هذه المجلـة الممتـازة ، وهو رئيس للوزراء ، لأنه يعتز بها ، بل يعتبرها الوسام الأكبر فى حياته ، فهذه المجلـة تحدد له نسبه الأصلى فهو من المفكرين والفلاسفة قبل أن يكون من الحكـام

ورجال السلطة . وقد علمتنى متابعتى لكتابات « محمد مزالى » مزيدا من المعرفة بمعنى « الاستقلال الفكرى » الذى تحاول الشخصية العربية أن تحققه وسط عواصف النظريات والآراء والمذاهب التى تملأ عالم اليوم ، فالاستقلال الذى يمثله محمد مزالى ليس تعصبا ولا رفضا ولا اغلاقا لأبواب العقل والنفس ضد ما يهب علينا من رياح آتية من هنا أو هناك ، ولكنه استقلال يؤدى الى الوقوف بصلابة على أرضنا ، مع فتح نوافذنا لكل ريح لا تقتلعنا من هذه الأرض ، وهكذا نأخذ من الآخرين ونبقى فى نفس الوقت راسخين فى ترابنا حيث ينبغى أن نكون .

هذه بعض ملامح « محمد مزالى » المفكر الفيلسوف الذى أصبح رئيسا للوزراء ، فأسعد جميع الذين يمارسون مهنة القلم ولا يأخذون منها غير الألم والندم ... وليهنأ المثقفون العرب بواحد منهم ، صعد الى كرسى الرئاسة على أسنة الأقلام ، لا على أسنة الرماح ، وليهنأ أفلاطون فى مثواه « الأثينى » لان حلمه بحكم « الفلاسفة » يتحقق بين الحين والحين على سطح الأرض ، ولا يبقى هذا الحلم خيالا فى خيال كما يحدث فى معظم الأحوال فى هذه الدنيا الصعبة على كل صاحب فكر وعقل وذكاء وقلب وشعور . »

رجاء النقاش

أما التعليق الثانى فقد جاء فيه ما يلى تحت عنوان :

رجل ..

« كان الدكتور محمد حسين هيكل « باشا » واحدا من كبار الأدباء والكتاب العرب فى أوائل هذا القرن فى مصر ، وهو مؤلف أول رواية عربية يعتبرها النقاد أول رواية فنية بالمعنى الأدبى الصحيح فى الأدب العربى نطقت السنيما وتجاوزت مرحلة الصمت ، وهيكل « باشا » هو مؤلف العشرات من الكتب فى الأدب والتاريخ الاسلامى ، وهو صاحب الكتاب اللامع المعروف باسم حياة محمد ، والذى يكاد أن يكون أهم كتاب صدر عن « حياة محمد » (ص) بعد « سيرة ابن هشام » ، كما ألف هيكل العديد من الكتب التى يعرفها القراء والمثقفون فى شتى أنحاء الوطن العربى فى هذا الجيل والجيل السابق .

وقد تذكرت هذا الكاتب الكبير المثقف اللامع وأنا أكتب بالأمس عن أحد أدباء هذا الجيل ، وهو السيد محمد مزالى ، الذى وصل عن طريق جهده الفكرى الى منصب رئاسة الوزراء .. تذكرت هيكل باشا ، بهذه المناسبة ، فقد أشتغل هيكل بالسياسة أيضا ووصل الى منصب الوزارة عدة مرات ، كما وصل الى منصب رئيس مجلس الشيوخ قبل ثورة يوليو 1952 ، ولكن لم يستطع أبدا أن يصل الى منصب رئيس الوزراء ، رغم ان من هم أقل منه علما وفكرا وثقافة قد وصلوا الى هذا المنصب « قبل الثورة طبعا » . اما هيكل الذى رفعه انتاجه الفكرى والأدبى الى الطبقة الأولى من الكتاب والمثقفين فى عصره ، بل بعد عصره ، وسيظل كذلك ما بقى للأدب العربى تاريخ فلماذا لم يستطع هيكل أن يحصل على منصب رئيس الوزراء ، رغم انه ظل يعمل بالحياة العامة ، بما فيها الحياة الثقافية والسياسية ما يقرب من أربعين عاما متصلة ، بل لقد وصل الى رئاسة حزب من الاحزاب المصرية المعروفة وهو حزب « الاحرار الدستوريين » الذى كان حزبا من أحزاب الاقليات أى انه لم يكن حزبا محبوبا ، بل كان حزبا للأرستقراطية التى لم يكن يلتف حولها رأى عام شعبى ، ولكن رئيسين من رؤساء هذا الحزب سبقا « هيكل » فى رئاسته وصلا الى رئاسة الوزارة وهما عدلى يكن ومحمد محمود ، اما هيكل فلم يصل الى هذا المنصب على الاطلاق . فما هو السر فى ذلك ؟ .

ان السبب الذى رفع محمد مزالى فى تونس الى رئاسة الوزارة هو نفسه سبب منع « هيكل » العظيم من الوصول الى رئاسة الوزارة وهذا السبب هو العلم والثقافة واستقلال الرأى والفكر . فقد كان الملك فؤاد وابنه الملك فاروق من بعده ، يكرهان رجال الفكر والثقافة كراهية شديدة ، وكانت هذه الظاهرة واضحة فى فاروق أكثر من ابيه ، لأن أباه « الملك فؤاد » كان أكثر تعليما وأذكى وأدهى وأعرف بأمور الحياة من ابنه .

فلما جاء فاروق ورث عن والده كراهية الفكر والثقافة والعقل ، وزاد فى هذه الكراهية كثيرا ، حيث كان لاهيا ولعوبا لا يطيق صبرا على فكر أو مناقشة أو قراءة أو رأى عميق .

وهذه هى العقبة التى وقفت فى وجه هيكل ، فلم يصعد الى رئاسة الوزراء على الاطلاق . وكان فاروق يكره هيكل ويخشاه . وكان ـ كما نقول نحن فى مصر ـ « يستثقل ظله » ، لأنه رجل يناقش ويبدى رأيا ويقول هذا خطأ وهذا

صواب ، ويقدم تبريرات وتفسيرات لما يقوله أو يراه ، وكل هذا كان شيئا « مضجرا » جدا بالنسبة لفاروق . ومن هنا أصبح هيكل ، وهو الذكى العالم المثقف ، بعيدا عن قلب الملك فاروق والذى كان يمكن أن يختاره رئيسا للوزراء .

وعندما قامت الثورة سنة 1952 انطوت صفحة فاروق وانطوت معها صفحة السياسيين القدماء ومن بينهم هيكل باشا . ونحن الآن عندما نتذكر السلسلة الطويلة للوزراء ورؤساء الوزارات ، فاننا نحس انهم كلهم مجهولون ولا قيمة لهم . فلا أحد يذكر « زيور باشا » او « توفيق نسيم باشا » او « عبد الفتاح باشا يحيى » أو غيرهم ممن تولوا رئاسة الوزارة ، أما « هيكل » فانه مذكور فى كتاب ، وسيظل مذكورا جيلا بعد جيل . لأنه أعطى من قلبه وعقله وثقافته الكثير وما سوف يبقى فى الأرض ولا يزال .. فالمناصب تزول وتبقى حقيقة الانسان .

هذا ما أردت أن أقوله عن هيكل ، فكما دفعت الثقافة نموذجا ممتازا مثل محمد مزالى الى رئاسة الوزارة ، فقد كانت الثقافة والعلم والمعرفة هى العائق لهيكل من الوصول ، وهذا للأسف هو الشائع والعادى .. ان يكون عقل الانسان وفكره وثقافته عائقا فى طريق نجاحه فى الحياة لا عاملا مساعدا فى هذا النجاح .

المهم ، ان فى قلبى كلمة أخرى أود أن أقولها عن هيكل ، فبعد ان قامت الثورة وانعقدت محكمة الثورة لمحاكمة السياسيين السابقين ، وقف هيكل فى هذه المحكمة موقفا بالغ الشرف والرجولة ، وخاصة عندما كان مطلوبا منه ان يتحدث عن خصومه السياسيين ، الذين قامت بينه وبينهم حروب سياسية عنيفة لا اول لها ولا أخر فكان هيكل على عكس الكثيرين من قدماء السياسيين على غاية النبل والشرف والانصاف فيما قاله عن خصومه واعدائه السياسيين ، لم يجرح واحدا منهم بكلمة ، بل قال فيهم كثيرا من الخير والقول الجميل .. فكان بذلك مثلا للوفاء والصفاء والرجولة وعدم استغلال الظروف الصعبة لطعن الاعداء .. فى دنيا لا يتورع الناس فيها عن طعن اصدقائهم وذوى الفضل عليهم اذا ما اقتضت الظروف ذلك .

تلك بعض خواطرى عن « رجل » عظيم .

رجاء النقاش

● ربيع تونس : تغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية :

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « الوطن العربى » فى عددها 171 ـ مـاى 1980 ما يلى :



تونس ـ « الوطن العربى »

الذين كانوا ينتظرون غياب الرئيس الحبيب بورقيبـة عن السـاحة السيـاسية فى تونس لاحداث تغيير جوهرى على طبيعة الحكم سوف يصابون بالدهشة مرة أخرى وهم يلاحظون ان التغيير يجـرى بالفعـل تحت سمـع ونظـر الرئيس وبتشجيع وتوجيه منه .

وهذا التغيير الذى تسارعت خطاه منذ ان عين محمد مـزالى رئيسا للحكومة قبل حوالى شهـر يشمـل مختلف الاصعـدة الاقتصادية والنقابية والسياسية .

فعلى الصعيد الاقتصادى اغتنم مزالى مناسبة عيد أول أيار (مايو) ليعلن عن سلسلة اجراءات تهدف الى تحسين أوضاع ذوى الدخل المحدود : رفـع مرتبات الحد الادنى بنسبة ١٥ بالمائة لتصل الى حـدود 54 دينـارا ، ومنـح مساعدات اجتماعية للعمال الزراعيين ، وخاصة منح معونات للعائلات ذوى المرتب الواحد ، وهذا القرار الاخير كان مطلبا أساسيا من مطالب الاضرابات التى جرت عشية أحداث يوم الخميس فى 28 ينـاير (كـانـون الثـانى) من عـام ١٩٧٨ .

وتعمل الحكومة اليوم بكامل أركانها على اعداد خطـة اقتصـادية طمـوحة سيجرى رفعها الى الجمعية الوطنية للموافقة عليها .

ومن جملة ما ستنص عليه هذه الخطة الجديدة اعادة توزيع الدخل ، وجـرد كل المؤسسات الصناعية فى البلاد لجعلها تتوافق ومتطلبات المرحلة ، ووضع حلول متوسطة الاجل لموضوع الطاقة .

ومن المعروف ان خطة التنمية التى يجرى تطبيقها حاليا وهى الخامسة من نوعها سوف تصل الى نهايتها فى العام المقبـل ١٩٨١ . وقد بـدأت منـذ الآن الاستعدادات لوضع الخطة السادسة على أساس اعادة الاعتبار للقطاع الزراعى، وتحقيق الاكتفاء الذاتى على الصعيد الغذائى ، وخلق نوع من التطور المتوازن فى شتى انحاء البلاد .

ومن أجل الوصول الى مثل هذه الاهداف لا بد من تنقية الاجراء الاجتماعية، وإحلال جو جديد من الثقة بين أرباب العمل والعمال والدولة . وهذا ما دعا اليه عبد العزيز الاصرم وزير الاقتصاد الجديد .

من هذا المنطلق تتوقع الاوساط المطلعة فى العاصمة التونسية حدوث تغييرات جذرية على القيادة العمالية الحالية ، بحيث يعود الحوار من جديد بين الدولة والقيادة العمالية السابقة بزعامة الحبيب عاشور .

ومعروف ان هذا الاخير قد أطلق سراحه فى الثالث من آب (اغسطس) من عام 1979 ، وهو يعيش منذ ذلك التاريخ فى الاقامة الجبرية فى منزله .

فاذا صحتهذه التوقعات ، فمعنى ذلك ان تونس مقبلة على انفراج اجتماعى واسع . ربما رافقها السماح بقيام تنظيمات نقابية حرة ، لا للعمال فحسب ، ولكن للطلاب ولباقى الفئات الاجتماعية أيضا ، وثانيا وهذا هو بيت القصيد، السماح بتعدد الاحزاب فى البلاد على المدى المنظور . معنى ذلك ان يتاح لكافة التيارات والاتجاهات ان تعبر عن نفسها كما هو متاح حاليا لجماعة أحمد المستيرى وحسيب بن عمار « حركة الديموقراطيين الاشتراكيين » .

ومعنى ذلك أيضا ان يبارك ويرعى الرئيس بورقيبة بنفسه حركة الانفتاح. وهذا الانفتاح السياسى الداخلى سيترافق بالضرورة مع انفتاح سياسى خارجي يجعل تونس تلعب الدور المؤهلة له عربيا ، خاصة منذ نقل مقر الجامعة العربية اليها .

● مع الله (تأملات شعرية) :

من منشورات « مجلة جوهر الاسلام » التى يديرها الأستاذ الصديق : محمد صلاح الدين المستاوى . هذه المجموعة الشعرية التى تحمل عنوان : « مع الله » وهى عبارة عن قصائد تأملية كتبها الفقيد الشيخ الحبيب المستاوى مؤسس مجلة « جوهر الاسلام » التى واصل ابنه البار اصدارها منتظمة كل شهر . ووفاء منه لروح والده أصدر أخيرا قسما من شعره وضع له كلمة مدخلية مؤثرة جدا وأردفها الاستاذ البشير العريبى بمقدمة جاء فيها قوله : « وما من ريب فى أن اندماجك مع الشاعر فى ديوانه هو خير ما يعرفك بمكانته فى الشعر » .

نشكر الصديق محمد صلاح الدين على النسخة التى وصلتنا منه ونرجو التوفيق فى السير الثقافى على النهج الذى سلكه والده وفى ذلك البر كل البر بالوالد رحمه الله .

● **العلم والتعليم :**

وصلنا العدد الجديد 44/س 5 من مجلة العلم والتعليم وقد جاءنا يحمل هذه المرة ملفا عن التربية والتعليم فى القطر الجزائرى الشقيق .

« شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب » هذا البيت من شعر الامام عبد الحميد ابن باديس وهو العنوان الذى وضعه الاستاذ أحمد الشرفى لركن « رسالة المجلة » .

أما غلاف المجلة فقد جاء يحمل صورة لجامعة الجزائر كتبت عليها هذه القولة «لا .. لاستعمال الفرنكفونية كتعبير عن الاستعمار الاقتصادى والثقافى .» من أقوال الرئيس الجزائرى : الشاذلى بن جديد .

● **العدد الجديد من مجلة « الباحث » :**

العدد الثانى من « مجلة الباحث » فى سنتها الأولى يصدر فى ميقاته الذى هو منتصف كل شهر . وقد جاء العدد الثانى متطورا شكلا ومضمونا بالنسبة للعدد الاول . ومن عناوينه التى يحملها الوجه الاول من الغلاف نقرأ : « من الواجب مخاطبة الشباب بلغة الصدق والاخلاص بقلم محمد مزالى » أما العنوان الثانى فهو : نزار قبانى يواجه التحدى .

وقد شارك فى هذا العدد كل من : محمد الدرويش ، وعبد اللطيف القيطونى ، والصادق شرف ، والهادى كرو ، ومحمد بن الأصفر ، والمنصف وناس بالاضافة الى كلمة سكرتير التحرير : حميده الصولى التى تحمل عنوان : أحقا .. يعيشون المعاناة ؟!

● **معرض للرسوم الزيتية يحمل عنوان « حديث الضوء »**

قام أخيرا الفنان : محمود التونسى بفتح معرضه الثانى بتونس يوم الجمعة 16 ماى 1980 وذلك بقاعة « الفنون » عدد 15 نهج ابن خلدون بتونس . وكل ما فى المعرض من لوحات ينضوى تحت عنوان : « حديث الضوء » . وقد جاءت الرسوم تمثل طابعا خاصا ذا خطوط تشكيلية تهندس المعنى فى تحد واضح للمألوف وتحاول أن توحى بالفكرة فى صمت غير معقول أحيانا .

ولقد ذكرنى المعرض الذى يتحدث بالضوء فى قصيدة لشاعرة تونسية تحمل عنوان « الكتابة بالضوء » .

● **شهادة دكتوراه دولة :**

تحت عنوان « **التفكير البلاغى عند العرب ، أسسه وتطوره الى القرن السادس للهجرة** » تقدم الاستاذ حمادى صمود برسالته لنيل شهادة دكتوراه دولة وقد نوقشت الرسالة بقاعة الاجتماعات بكلية الآداب والعلوم الانسانية

بتونس وذلك يوم الجمعة 25 أفريل 1980 . وقد تشكلت لجنة المناقشة من الأساتذة: الشاذلي بويحيى ومحمد رشاد الحمزاوى ومحمد عبد السلام والمنصف الشنوفي ، والاستاذ عبد القادر المهيرى بصفته اولمشرف على اعداد الشهادة.

وقد أثارت لجنة المناقشة على هامش الرسالة عدة مواضيع نقدية منها :

مناقشة طريقة العرض ومنهجيته .

مناقشة بعض الأفكار والأحكام الواردة فى الرسالة .

مناقشة المراجع التى اعتمد الباحث عليها .

مناقشة ظاهرة المبالغة فى اصدار بعض الأحكام .

مناقشة الاحتراز فى استعمال المفاهيم الحديثة .

مناقشة قضية التأثير الأجنبى فى نشأة البلاغة .

واثر المناقشة التى استمرت عدة ساعات أسندت اللجنة شهادة دكتوراه دولة بملاحظة مشرف جدا للاستاذ : حمادى صمود تهانينا الحارة وتمنياته له بالتوفيق فى مستقبل بحوثه ودراساته .

● ملتقى الأدب التونسى الحديث :

نظم المركز الثقافى لمدينة تونس من يوم 30 أفريل الى 4 ماى 1980 ملتقى حول الأدب التونسى الحديث . احتوى على خمسة محاور موزعة على أيام الملتقى كالتالى :

- محور اليوم الأول : الأدب التونسى الحديث فى وسائل الاعلام (تلفزة ، اذاعة ، صحافة) .
- محور اليوم الثانى : الأدب التونسى ومسالك النشر والتوزيع (الكاتب والناشر ، الكلمة للناشر) .
  - النشر العربى المشترك أهدافه وآفاقه .
- محور اليوم الثالث : الأدب التونسى فى المؤسسات الثقافية (دور الثقافة ، دور الشعب ، دور الشباب ، النوادى الأدبية) .
- محور اليوم الرابع : الأدب التونسى والفنون الأخرى (موسيقى ، مسرح ، سنيما) .
- محور اليوم الخامس : الأدباء الشبان وواقع الكتاب فى تونس .

واختتم الملتقى بأمسية شعرية شارك فيها البعض من الشعراء التونسيين .

● الملتقى الأول للشعر بالجريد :

كان اليوم الأول من شهر ماى 1980 حافلا بالتظاهرات المختلفة بعاصمة الجريد توزر ومن بينها الملتقى الأول للشعر الذى اشتركت فى تنظيمه اللجنة الثقافية الجهوية بتوزر وجمعية النهوض بالطالب التوزرى .

وقد تمثل هذا الملتقى ـ كمنطق له ستتعدد جوانب تظاهراته فى السنين القادمة ـ فى أمسية شعرية أقيمت بمقر دار الاتحاد الجهوى للشغل بتوزر حضرها جمهور غفير من شباب ومثقفى الجهة يتقدمهم والى توزر السيد الطاهر بن حجل والسيد معتمد توزر الأول واعضادهما .

وقد شارك فى الأمسية كل من الشاعر الصادق شرف وحميده الصولى وعامر بوترعه ومحمد على الهانى والأمين الشريف بقصائد جديدة اتسمت بروح المعالجة الجادة لقضايا الوطن العربى وكانت قضية فلسطين فى المحل الهام من تلك القراءات الشعرية التى سبقتها كلمة الاستاذ الشاذلى الساكر رئيس جمعية النهوض بالطالب التوزرى التى رحب فيها بالضيوف والمشاركين فى الملتقى الاول للشعر وأكد على أن يكون أول ماى من كل سنة يوم «الشعر» بتوزر موطن أبى القاسم الشابى ينظم فيه ملتقى ستتعدد فيه أطراف التظاهرات الثقافية مستقبلا . كما أشار الى أن المناسبة هذه يمكن الاحتفاء فيها بأول مجموعة شعرية لمحمد على الهانى أحد شعراء الجريد الشبان « الجرح المسافر » من منشورات مجلة الأخلاء .

● **مسابقة موضوعها : « المرأة : مساواة وتنمية وسلام » :**

بمناسبة المؤتمر العالمى لعشرية الامم المتحدة للمرأة الذى يلتئم فى شهر جويلية 1980 بالعاصمة الدنماركية ينظم مركز للامم المتحدة بتونس بالاشتراك مع الاتحاد القومى النسائى التونسى وجمعية الصحافيين التونسيين ، مسابقة موضوعها : « المرأة : مساواة وتنمية وسلام » .

ويرجى من المترشحين التونسيين من ذوى النشاط فى مجالات الاعلام المكتوب والمسموع والمرئى ان يقدموا دراسة أو بحثا أو تحقيقا حول « وضع المرأة فى تونس أو فى العالم » .

ويشترط فى الانتاج المقدم باللغة العربية أو الفرنسية أن يكون قد نشر أو أذيع فى الفترة ما بين غرة جانفى 1980 :و 10 جوان من نفس السنة .

وتتولى لجنة تحكيم مكونة من ممثلين عن جمعية تونس ـ الامم المتحدة ، والاتحاد القومى النسائى التونسى ، واتحاد الكتاب التونسيين ، وجمعية الصحافيين التونسيين اسناد ثلاث جوائز لاحسن انتاج وذلك كالآتى :

أولا : جهاز تلفزى بالالوان مهدى من طرف منظمة الامم المتحدة .

ثانيا : جهاز تلفزى بالالوان صغير الحجم ، مهدى من طرف الاتحاد القومى النسائى التونسى .

ثالثا : جهاز اذاعى للتسجيل مهدى من طرف جمعية الصحافيين التونسيين .

وتقدم الترشحات قبل 15 جوان 1980 الى العنوان التالى :

مركز الاعلام للامم المتحدة ، 61 شارع باب بنات ـ ص. ب. 863 ، تونس .